مفهوم دلالة اللفظ عند ابن قتيبة

«دراسة وصفية تحليلية في ضوء علم اللغة الحديث»

محمد بن سعيد بن إبراهيم الثبيتي

أستاذ اللغويات المشارك بمعهد اللغة العربية

جامعة أم القرى

يشتمل هذا البحث على دراسة وصفية تحليلية لدلالة اللفظ عند ابن قتيبة تناولت فيه أهم الجوانب في مفهوم الدلالة؛ كأنواعها، ومظاهر تطورها، وأنواع العلاقات الدلالية بين الألفاظ، وبيان أثر آراء ابن قتيبة، فيمن جاء بعده من القدماء، ومقارنة تلك الآراء بما تمخضت عنه الدراسات اللغويّة الحديثة. وقد جاءت الدراسة في ثلاثة مباحث، وذلك على النحو التالي:

المبحث الأول: أنواع الدلالة، وقد تم من خلاله بيان أنواع الدلالة عند ابن قتيبة، في ضوء أنواعها عند المحدثين، وبيان أثر ذلك فيمن جاء بعده من القدماء.

المبحث الثاني: ويشمل مظاهر التطور الدلاليّ عند ابن قتيبة، ومقارنة ذلك بما تمخضت عنه دراسات اللغويين المحدثين.

المبحث الثالث: العلاقات الدلالية بين الألفاظ: وفيه دراسة لظاهرة التعدد (المشترك والترادف والأضداد) عند ابن قتيبة، وذلك في ضوء ما توصلت له الدراسات اللغوية الحديثة.

التمهيد (ترجمة مختصرة عن ابن قتيبة)

هو أبو محمد: عبد الله بن مسلم بن قتيبة المروزي الدينوريّ، ويقال له: القتيبي نسبة إلى جده قتيبة، وهو من أسرة فارسية كانت تقطن مدينة مرو، ولذا نسب إليها فقيل المروزي، ولد سنة ٢١٣هـ بالكوفة، وقيل ببغداد، وتوفي سنة٢٧٦هـ وقيل سنة ٢٧٠، ٢٧١هـ[١].

اتّهمه بعض المتقدمين في عقيدته بالكراميّة، وأنه كان مُشَبِّها[١]، كما اتّهم

(١) ينظر: أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي اللغوي مراتب النحويين، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم (القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط٢، ١٣٩٤-١٩٧٤م) ٢١، ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن تحقيق: السيد أحمد صقر (القاهرة، دار التراث، ط٣، ١٩٧٣م) ٢ فما بعدها.

(٢) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم (القاهرة، دار الفكر، ط٢- ١٣٩٩هـ) ٢/٦٣

في علمه بالغفلة والغباوة وقلة المعرفة(١)، ولكنّه بُرِّئ من ذلك كلّه، ووصف بأنه ثقة ديّناً، وعدّ لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة، وكان صادقاً فيما يرويه عالماً باللغة، والنحو وغريب القرآن ومعانيه، وكان أهل العلم يتهمون من لم يكن في منزله شيء من تصانيفه(٢).

له تصانيف كثيرة مفيدة، بلغت عدتها ـ عند بعضهم ـ خمسة وستين مصنفاً، من أشهرها: تأويل مشكل القرآن، وتفسير غريب القرآن، ومختلف الحديث، وغريب الحديث، وأدب الكاتب، وجامع النحو، وخلق الإنسان، وإصلاح غلط أبي عبيد، والمسائل والأجوبة، والشعر والشعراء، وغيرها(٣). وقد تتلمذ لطائفة من أعلام عصره، وروى عن جمع من مشاهير دهره(٤)، كما تتلمذ على يده عدد كبير من العلماء، الذين قرأوا عليه كتبه كلها أو بعضها، حيث كان كريماً بعلمه، سمحاً في إقراء كتبه(٥).

كما حظي في العصر الحديث باهتمام بالغ من العلماء والباحثين كان أبرزه تحقيق تراثه على يد علماء أجلاء، على رأسهم العالم الفاضل السيد أحمد صقر الذي أُعْجِب به أيّما إعجاب، ووصفه بأنه خليق بالإعجاب، وجدير بالإعظام؛ لأنه أخلص نفسه، وفكره، وعقله لدينه ولغته، وقضى حياته مجاهداً في سبيل إعزازهما، ودرء شبه أعداء الدين والعربية والعروبة بما ألّف من كتب ودرّس من دروس(٦).

(١) الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق عبد الحليم النجار ومراجعة محمد علي النجار (الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب) ١/ ٣١

(٢) ينظر: النديم محمد بن إسحاق النديم، الفهرست (بيروت، دار المعرفة) ١١٥، ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن ٥٥ فما بعدها (المحقق).

(٣) ينظر: السيوطي، بغية الوعاة ٢/ ٦٣، وتأويل مشكل القرآن ٧ (المحقق).

(٤) لمعرفة شيوخه، ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ٣ فما بعدها (المحقق).

(٥) لمعرفة تلاميذه، ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ٣٥-٣٨ (المحقق).

(٦) ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ١ فما بعدها (المحقق).

كما حظي بنصيب وافرمن الدراسات المعاصرة في النقد والأدب والبلاغة واللغة والعقيدة(١): منها: ابن قتيبة ونقد الشعر لمحمد بن مريسي الحارثي، وابن قتيبة الأديب لعبد الحميد الجندي، والبحث البلاغي عند ابن قتيبة لمحمد علي الصامل، وابن قتيبة الدينوريّ تصحيحه اللغوي لسهى فتحي، وتوظيف ابن قتيبة اللغة للدفاع عن القرآن ليوسف صامل السلميّ، وعقيدة الإمام ابن قتيبة لعلي نفيع العلياني.

المبحث الأول: أنواع الدلالة

لقد سحرت العربية ابن قتيبة، وتكشفت له عن خصائص، جعلتها من أفضل اللغات، وجعلت أهلها من أفضل الأمم؛ وذلك لما خصّ الله به العرب والعربية دون الأمم وجميع اللغات من إقامة الحجة وإثبات معجزة الرسول ﷺ إذ يقول: «وإنما يعرف فضل القرآن من كَثُر نظره واتسع علمه وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خصّ الله به لغتها دون جميع اللغات، فإنه ليس في جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة والبيان واتساع المجال ما أوتيته العرب خصِّيصى من الله،لما أرهصه في الرسول ﷺ وأراده من إقامة الدليل على نبوته بالكتاب فجعله عَلَمَه،كما جعل عَلَم كلّ نبيّ من المرسلين من أشبه الأمور بما في زمانه المبعوث فيه...»(٢).

وقد لخص ابن قتيبة هذه الخصائص فيما يلي(٣):

١- شمول الألفاظ: فألفاظ العرب مبنية على ثمانية وعشرين حرفاً، وهي أقصى طوق اللسان، وألفاظ جميع الأمم قاصرة عن ثمانية وعشرين، ولست واجداً في شيء من كلامهم حرفاً إلا معدولاً عن مخرجه شيئاً.

(١) ينظر: السلميّ، يوسف صامل، توظيف ابن قتيبة اللغة للدفاع عن القرآن (رسالة قدمت لنيل درجة الماجستير في اللغة، مكة المكرمة، جامعة أم القرى ١٤٢٤هـ) المقدمة ٤.

(٢) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ١٢

(٣) ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ١٤ فما بعدها

٢-الإعراب: وقد جعله الله وشيا لكلامها، وحلية لنظامها، وفارقا بين المعنيين المختلفين كالفاعل والمفعول، إذا تساوت حالهما في إمكان الفعل أن يكون لكلّ واحد منهما، ولو أن قائلا قال: هذا قاتلٌ أخي بالتنوين، وقال الآخر: هذا قاتلُ أخي بالإضافة- لدلّ التنوين على أنّه لم يقتله، ودلّ حذف التنوين على أنّه قد قتله.

٣- التفريق بن المعاني بحركة أو حرف؛ كقولهم: رجل لُعْنة إذا كان يلعنه الناس، فإذا كان هو الذي يلعن الناس قالوا: رجل لُعَنَة، وكقولهم: للقبض بأطراف الأصابع (قبص) وبالكف: (قبض).

٤- الاشتقاق، كاشتقاقهم من البطن للخميص (مُبَطَّن) وللعظيم البطن إذا كان خِلْقة (بَطين) فإذا كان من كثرة الأكل قيل (مِبْطان) وللمنهوم (بَطِن) وللعليل البطن (مبطون).

٥- الشِّعر: الذي أقامه الله للعرب مقام الكتاب لغيرها، وجعله لعلومها مستودعا، ولآدابها حافظا، ولأنسابها مقيِّدا، ولأخبارها ديوانا. .وحرسه بالوزن، والقوافي،وحسن النظم، وجودة التحبير - من التدليس والتغيير.

٦- المجازات في الكلام، وهي طرق القول، ومآخذه: كالاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير ونحوها.

ويمكن القول أن سحر العربية لم يقف بابن قتيبة عند حدّ تفضيلها على سائر اللغات، وتفضيل أهلها على سائر الأمم، بل إنّ العربية تكشفت له عن أسرار، تعدّ في ـ نظرنا ـ إرهاصات لما توصلت إليه الدراسات الحديثة، ولمن جاء بعده من القدماء . فقد أدرك ابن قتيبة ـ بحسه اللغويّ المرهف ـ ما أسماه المحدثون بأنواع الدلالة(١)، وفيما يلي بيان ذلك:

(١) ينظر: أنيس، إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ (مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة ١٩٧٦م). ٤٦، فما بعدها . مجاهد، عبد الكريم مجاهد، الدلالة اللغوية عند العرب (الأردن ،عمان ، دار الضياء للنشر والتوزيع ، مطبعة النور النموذجية) ١٩٤فما بعدها.

١- الدلالة الصوتية:

وهي الدلالة المستمدة من بعض خصائص الأصوات. وقد عقد ابن قتيبة لذلك بابا أسماه: (الأسماء المتقاربة في اللفظ والمعنى)، ضمّنه العديد من الألفاظ التي فرق بين معناها بحرف، حتى كان تقارب ما بين اللفظين كتقارب ما بين المعنيين(١)، كقوله: (النَّضْخ) أكثر من (النَّضْح)، و(الحَزْمُ) من الأرض: أرْفَعُ من (الحَزْنِ)، و(القَبْضُ) بجميع الكف (والقَبْص) بأطراف الأصابع، و(الخَضْمُ) بالفم كله (والقَضْمُ) بأطراف الأسنان، و(الرِّجْز) العذاب (والرِّجْسُ) النّتْنُ، و(الهُلاَس) في البَدَن (والسُّلاس) في العقل، و(النَّارُ الخامِدَة) التي قد سكن لَهَبُهَا ولم يُطْفَأْ جَمْرُها و(الهَامِدَة) التي طَفِئَتْ وذهبت أَلْبَتّة(٢).

وقد عرض ابن جني لهذا النوع من الدلالة، وربط المعنى بصوت الحرف، وعدّ ذلك بابا عظيما؛ إذ يقول: «فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها فباب عظيم.. وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبّر بها عنها..وذلك أكثر مما نقدره وأضعاف مانستشعره. من ذلك قولهم: خضم وقضم. فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء، وما كان نحوهما والقضم للصّلب اليابس، نحو: قضمت الدّابة شعيرها ونحو ذلك..»(٣) ثم علل ابن جني ذلك بقوله: فاختاروا الخاء لرخاوتها للرّطب، والقاف لصلابتها لليابس، حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث»(٤).

(١) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ١٦

(٢) ابن قتيبة، أدب الكاتب ٢٠٠ فما بعدها بتصرف. وينظر: تأويل مشكل القرآن ١٦

(٣) ابن جني، أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار (دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان) ٢/١٥٧

(٤) ابن جني، الخصائص٢/١٥٨

٢- الدلالة الصرفيّة:

وهي الدلالة المستمدة من بنية الكلمة، وقد عقد ابن قتيبة لهذا النوع من الدلالة بابا أسماه: بابُ اختلاف الأبْنية في الحرف الواحد لاختلاف المَعَاني قال فيه: «قالوا: (رَجُلٌ مُبَطَّنٌ) إذا كان خَميصَ الْبَطْن (وبَطِينٌ عظيم البطن في صحة، و(مَبْطُونٌ) إذا كان عليل البطن (وبَطِنٌ) إذا كان منهوماً نَهِما، و(مِبْطَانٌ) إذا ضَخُم بَطْنُه من كثرة ما يأكُل، ورجل (مُظَهَّرٌ) إذا كان شَديدَ الظَّهْرِ و(رَجُلٌ ظَهِرٌ) إذا اشتكى ظَهْره مَثْلُ (فَقِر) إذا اشتكى فَقَاره، و(رَجُلٌ مُصَدَّرٌ) شديد الصَّدْر (ومَصْدُور) يَشْتَكي صَدْرَهُ.»[١].

وهذا النوع من الدلالة يقوم على ما تؤديه الأوزان الصرفية، وأبنيتها من معان، وهو ما عرف عند ابن جنيّ (ت٣٩٥هـ) باسم الدلالة الصناعية، والتي جعل منزلتها في القوة بعد الدلالة اللفظية، وقبل الدلالة المعنوية؛ إذ يقول: «باب في الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية: اعلم أن كل واحد من هذه الدلائل معتدّ مراعى مؤثر؛ إلا أنها في القوة والضعف على ثلاث مراتب: فأقواهن الدلالة اللفظية، ثم الصناعية، ثم تليها المعنوية... ألا ترى إلى قام ودلالة لفظه على مصدره ودلالة بنائه على زمانه، ودلالة معناه على فاعله...»[٢].

ونستطيع القول: بأنّ القيم الصرفيّة التي أدركها ابن قتيبة، هي ما يسمى في الدراسات الحديثة بالمورفيم الاشتقاقي وهو مورفيم نشتق به كلمة جديدة من كلمة أخرى[٣]. فجميع ما ذكره ابن قتيبة ـ تحت هذا الباب ـ برجع الفرق فيه بين المعاني إلى اختلاف الصيغ الصرفية، وهو ما حاول ابن جني تفسيره بقوله: «ومن ذلك قولهم للسلم: مِرقاة، وللدرجة مَرقاة، فاللفظ نفسه يدل على الحدث الذي

(١) ابن قتيبة، أدب الكاتب ٣٢٦

(٢) ابن جني، الخصائص ٣/٩٨

(٣) لمعرفة أنواع المورفيم، ينظر: الخولي، محمد علي، مدخل إلى علم اللغة (الأردن، دار الفلاح، ط١) ٧١.

هو الرقيّ لكن كسر الميم يدل على أنها مما ينفل ويعتمل عليه وبه، كالمطرقة والمئزر والمنجل، أما فتح الميم فيدل على أنه مستقر في موضعه، كالمنارة والمثابة...»[١].

٣- الدلالة النحويّة:

وهي الدلالة التي تحصل من خلال العلاقات النحوية بين الكلمات التي تتخذ كل منها موقعا معينا في الجملة حسب قوانين اللغة[٢]. وهذا النوع من الدلالة، هو ما عبر عنه ابن قتيبة بالإعراب[٣]، الذي جعله الله وشيا لكلام العرب، وحلية لنظامها وفارقا في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين، والمعنيين المختلفين كالفاعل، والمفعول لا يفرق بينهما، إذا تساوت حالهما في إمكان الفعل أن يكون لكلّ واحد منهما إلا الإعراب . ولو أن قائلا قال: هذا قاتلٌ أخي بالتنوين، وقال آخر: هذا قاتلُ أخي بالإضافة- لدلّ التنوين على انه لم يقتله، ودلّ حذف التنوين على أنه قد قتله.

وإذا كانت الدراسات اللغوية الحديثة، ترى أنّ معنى الجملة يتضح ويفهم من خلال العلاقات فيها[٤]، فإنّ ابن قتيبة ـ كغيره من القدماء ـ قد أدرك هذه الحقيقة اللغويّة، فهذا ابن جني (ت٣٩٥هـ) ينصّ على أهمية العلامة الأعرابية في بيان المعنى النحويّ، إذ يقول: «ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعيد أباه، وشكر سعيداً أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الأخر، الفاعل من المفعول،ولو كان الكلام شرجا واحدا لاستبهم أحدهما من صاحبه...»[٥].

أما المحدثون فإنّ الإعراب عندهم، واحد من أهم القرائن، التي تتظافر لتحديد

(١) ابن جني، الخصائص ٣/١٠٠١.

(٢) مجاهد، الدلالة اللغوية عند العرب ١٥٩

(٣) ينظر: ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ١٥

(٤) الراجحي عبده ، النحو العربي والدرس الحديث (بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٩م) ١٤٢

(٥) ابن جني، الخصائص ١/٣٥

المعنى النحويّ، كما ذهب إلى ذلك تمام حسان[١]؛ بل إنّه عند عبد الفتاح البركاوي يعدّ الملمح الأساسي، والقرينة الوحيدة في الكشف عن المعنى النحويّ، وبيان الفاعل من المفعول، حين لا تُجدي في بيانه القرائن الأخرى، وذلك نحو قولنا: أكرم سعيد أباه[٢]. وذلك ما أدركه ابن قتيبة، وابن جنيّ، بل إنّ قول ابن قتيبة عن الإعراب بأنه: فارق في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين، والمعنيين المختلفين كالفاعل، والمفعول؛ ليدلّ على إدراكه، بأن ثمة قرائن أخرى يمكن التعويل عليها في تحديد المعنى النحويّ حين يغيب الإعراب .

٤- الدلالة المعجمية[٣]، أو معنى الإطلاق[٤]، أو المعنى الأساسي[٥]:

وهو ـ عند ابن قتيبة ـ المعنى الذي يدل عليه اللفظ في اللغة، يتضح ذلك من قوله: « الجنّ من الاجتنان، وهو الاستتار. يقال للدرع: جُنَّة؛ لأنها سترت. ويقال: أَجنَّه الليل؛ أي: جعله من سواده في جنَّة، وجنَّ عليه الليل . وإنما سمّوا جِنّا: لاستتارهم عن أبصار الإنس. . . »[٦].

وقوله: « الفسق في اللغة الخروج عن الشيء. . .قال الفراء: ومنه يقال فسقت الرُّطبة إذا خرجت من قشرها »[٧].

ونحو ذلك من الألفاظ، كالشرك، واللعن، والجحد، والكفر، والظلم، والنفاق[٨].

(١) تمام حسان ، اللغة معناها ومبناها (القاهرة ، الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة)٢٠٥

(٢) دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث ، (القاهرة ، دار المنار ط١، ١٤١١هـ) ٢٥٣

(٣) ينظر: أنيس ، دلالة الألفاظ، ٦٢ ويسميه أيضا المعنى الاجتماعي.

(٤) ينظر: تمام ، مقالات في اللغة والأدب (مكة المكرمة ، جامعة ام القرى ،معهد اللغة العربية ، وحدة البحوث والمناهج ١٤٠٥ هـ) ٣٣٤

(٥) ينظر: احمد مختار عمر ، علم الدلالة (الكويت، مكتبة دار العروبة ط١ ،١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م)٣٦، ويسمّى: الأولي، والمركزي، والتصوري، والمفهومي، والادراكي.

(٦) ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن ٢١

(٧) ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن ٢٩

(٨) ينظر: ابن قتيبة ، تفسير غريب القرآن ٢٦ فما بعده.

وهذا المعنى عنده هو الأصل وهو المتعارف عليه عند العرب يقول عن لفظ (المَسَد): وأمّا المَسَد، فهو عند كثير من الناس: اللفيف دون غيره. وليس كذلك؛ إنما المسد: كلّ ما ضُفِر وفُتِل من الليف وغيره... ويدلك على أن المسد قد يكون من غير الليف، قول الرّاجز:

يا مَسَد الخوص تَعوّذ منّي إنْ تك لَدْنا ليِّنا فإنّي
ما شِئتَ مِنْ أشْمَطَ مُقْسَئنّ

فجعله من خوص...»(١)

ومن ذلك قوله: في تفسيره آية: ﴿قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ (البقرة٦٩).

«وقد ذهب قوم إلى أن الصفراء: السوداء. وهذا غلط في نعوت البقر وإنما يكون ذلك في نعوت الإبل. وقالوا بعير أصفر، أي: أسود؛ وذلك أن السود من الإبل يشوب سوادها صفره، قال الشاعر:

تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر أولادها كالزبيب

أي: سود.

ومما يدلك على أنه أراد الصفرة بعينها قوله: «فاقع لونها» والعرب لا تقول: أسود فاقع ـ فيما أعلم ـ إنما تقول: أسود حالك، وأحمر قانٍ، وأصفر فاقع»(٢).

وهذا المعنى الأصلي ـ عند ابن قتيبة ـ هو المعوّل عليه في فهم المعاني الثانوية(٣)، يقول في تأويله للفظ (فَواق)، في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَؤُلاَء إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ (صاد ١٥).

(١) ابن قتيبة، تاويل مشكل القرآن ١٦١

(٢) ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن ٥٣١.

(٣) ينظر: مختار، علم الدلالة٣٧. منقور، عبد الجليل، علم الدلالة: أصوله ومباحثه في التراث العربي، (دمشق، اتحاد الكتّاب العرب ٢٠٠١) ٦٤ ويسمى: المعنى الإضافي، والعرضي، والتضمني

« وأصل الفواق أن تُحلب الناقة ثمّ تُترك ساعة حتى يجتمع اللبن ثمّ تُحلب، فما بين الحلبتين فَوَاق، فاستعير الفَواق في موضع الانتظار. »(١).

ويقول في تأويله للفظ (الذنوب) في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ (الذاريات٥٩):

« وأصل الذنوب: الدّلو، وكانوا يستقون الماء، فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب، فاستعير في موضع النصيب، قال الشاعر:

إنّا إذا نازَعَنا شَريبُ لنا ذَنوبٌ ولَهُ ذَنوب »(٢)

٥-الدلالة السياقية: أو المعنى المقصود(٣)

وهو - عند ابن قتيبة - المعنى الفرعي أو الوجوه التي يتصرف إليها اللفظ في الكلام،وتعود إلى أصل واحد، هو المعنى اللغويّ، كقوله: الظلم في اللغة وضع الشيء غير موضعه. ومنه ظلم السِّقاء وهو شربه قبل الإدراك؛ لأنه وضع الشرب غير موضعه. وظلم الجَزُور وهو نحره لغير علَّة ...ثمّ يتفرع من الظلم معان ذكرتها في كتاب (تأويل المشكل)(٤)، وقد وضح هذه المعاني بقوله في التأويل: « .. ثمّ يصير الظلم بمعنى الشرك.. النقصان.. الجحد... »(٥).

وقد عقد لهذا النوع من المعاني الفرعية على حدّ تعبيره بابا أسماه (باب اللفظ الواحد للمعاني المتعددة) سنتحدث عنه لاحقا.

وأحسب أن فكرة الأصل والفرع التي أوجد أرضيتها ابن قتيبة، هي الفكرة التي شيّد بناءها ابن فارس(٣٩٥هـ) في مقاييسه، لكن ابن فارس أغفل الإشارة إلى ابن

(١) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ١٥٠

(٢) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ١٥٠

(٣) كما يسميه تمام، ينظر: مقالات في اللغة والأدب ٧٦

(٤) ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن ٢٨

(٥) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ٤٦٧

قتيبة، ولم يذكره ضمن مصادره، مع أنّه انتفع منه، ونقل عنه أربع عشرة مادة لغوية بنصها كما ذكر ذلك عبد الله الجبوري(١)، و أحسب أنّ انتفاع ابن فارس بالفكرة التي بنى عليها مقاييسه هي أكبر من تلك النقول التي ذُكِرتْ، وأما العلة في إغفال ابن قتيبة وتراثه لدى ابن فارس، فهو إغفال ـ في نظرنا ـ متعمد، بدافع النقمة على ابن قتيبة؛ لما نسب إليه من روايات منكرة، وضعت من قدره لدى بعض العلماء، ومن بينهم ابن فارس؛ وذلك واضح جليّ في قول ابن فارس في باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه: «وكان عبد الله بن مسلم بن قتيبة يقول في هذا الباب: من ذلك الدعاء على جهة الذم لا يراد به الوقوع كقول الله جلّ ثناؤه: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ (الذاريات ١٠) .. وأشباه ذلك.

قال أحمد بن فارس: وهذا وان أشبه ما تقدم ذكره فانه لا يجوز لأحد أنّ يطلق فيما ذكره الله جلّ ثناؤه، أنّه دعاء لا يراد به الوقوع، بل هو دعاء عليهم أراد الله وقوعه بهم فكان كما أراد؛ لأنهم قُتِلوا وأُهلِكوا وقوتلوا ولُعِنوا.. و(ابن قتيبة) يطلق إطلاقات منكرة، ويروي أشياء شنيعة، كالذي رواه عن الشعبي أن أبا بكر وعمر وعليا توُفُّوا ولم يجمعوا القرآن. قال وقد: وروى شريك، عن إسماعيل بن أبي خالد، قال: سمعت الشعبي يقول ويحلف بالله: لقد دخل (عليّ) حفرته وما حفظ القرآن ..»(٢).

وفكرة محاولة ربط المعاني المتعددة بمعنى عام (أصلي)، تتصل به تلك المعاني الفرعية اتصالا قويا، أو ضعيفا، بعيدا، أو قريبا، فكرة لا تعدو أن تكون ـ كما يرى أحد الباحثين ـ(٣) مظهراً من مظاهر كثرة الاستعمال أدى إلى شيوع ذلك الأصل؛

(١) ينظر: ابن قتيبة، غريب الحديث، تحقيق د. عبد الله الجبوري (العراق، بغداد، وزارة الأوقاف، إحياء التراث الإسلامي ط١، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) ٥٢ (مقدمة المحقق)

(٢) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، الصاحبي، تحقيق أحمد صقر القاهرة (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.) ٣٢٤ فما بعدها.

(٣) الطلحي، ردة الله بن ردة، دلالة السياق، (مكة المكرمة، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية ١٤٢٤هـ) ٨٧

غير أن الذي أرجحه هو أنّ شيوع ذلك الأصل، ما كان ليكون لولا أنّ جرثومة ذلك المعنى ملحوظة مدركة في المعنى الحسيّ لتلك الكلمة، وهو ما سوّغ قبول ذلك الأصل الشائع، فوضع الشيء غير موضعه ـ على سبيل المثال ـ سمة نلحظها في جميع المعاني الحسيّة لكلمة (الظلم) وهي : ظلم السقاء، وهو شربه قبل الإدراك، وظلم الجزور نحره لغير علّة، والأرض المظلومة التي حُفِر فيها ولم تكن موضع حفر، وهو ما عبر عنه ابن قتيبة وابن فارس بوضع الشيء غير موضعه(١)؛ لأنه في الأول وضع للشرب غير موضعه، وفي الثاني وضع للنحر غير موضعه، وفي الثالث وضع للحفر غير موضعه، وهذه هي السمة المشتركة بين المعاني الآنفة الذكر، والتي أسماها العلماء الأصل أو المعنى الأصلي.

ومثل ذلك يمكن قوله عن غيرها من الكلمات، وهو ما وفّق إليه ابن فارس في جلّ ما ذهب إليه في مقاييسه.

أما المعنى الفرعي فلا شك أن ما تنبه له ابن قتيبة من قدرة الكلمة عن التعبير عن أكثر من معنى فرعي (سياقي)، هو ما أقرته الدراسات الحديثة، ووصفه فندريس بالتأقلم، ويعني به قدرة الكلمة على اتخاذ دلالات متنوعة تبعا للاستعمالات المختلفة التي تستعمل فيها، وعلى البقاء في اللغة مع هذه الدلالات(٢)، و التي يرى أنه مهما تعددت الاستعمالات وتنوعت فإنّ أحدها يطغى غالبا على ما سواه، وهو الذي يعين معنى الكلمة الأساسي(٣)، وهذه القدرة ـ عند أولمان ـ خاصة من الخواص الأساسية للكلام الإنساني، وان نظرة واحدة في أي

(١) ينظر: ابن قتيبة ،تفسير غريب القرآن ٢٨ .ابن فارس، مقاييس اللغة ، تحقيق د. عبد السلام هارون ، (مصر ، مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، الطبعة الثالثة ١٣٩١هـ) ٣/ ٤٦٨

(٢) ينظر: فندريس، اللغة ، تعريب عبدا لحميد الدواخلى ومحمد القصاص (القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية) ٢٥٣ فما بعدها بتصرف.

(٣) فندريس، اللغة ٢٥٤

معجم من معاجم اللغة لتعطينا فكرة عن كثرت ورود هذه الظاهرة[١]. وهي قدرة جعلت من خصائص معنى الكلمة في المعجم التعدد والاحتمال، ولكن معنى اللفظ في السياق واحد لا يتعدد، بسبب[٢]:

أولاً: ما في السياق من قرائن تعين على التحديد.

ثانياً: ارتباط كلّ سياق بمقام معيّن يحدد في ضوء القرائن الحالية.

المبحث الثاني: تطور الدلالة

اللّغة مرآة الحياة، والترجمان المعبّر عما فيها من وجوه النشاط الإنسانيّ؛ لذا فإن أيّ تطور يصيب النشاط الإنسانيّ يترك بصمته على اللغة. يقول أولمان: «اللغة ليست هامدة أو ساكنة بحال من الأحوال، بالرغم من أن تقدّمها قد يبدو بطيئا في بعض الأحايين: فالأصوات، والتراكيب، والعناصر النحويّة، وصيغ الكلمات ومعانيها، معرضة كلّها للتغيّر و للتّطور، ولكن سرعة الحركة والتغير فقط، هي التي تختلف من فترة زمنية إلى أخرى، ومن قطاع إلى آخر من قطاعات اللغة...»[٣].

وتطور الدّلالة من الظواهر الشائعة في كلّ اللغات،لمسها الدارسون لمراحل نمو اللغات وأطوارها التأريخيّة، وعدّوا ذلك أمرا طبيعيا قلّما تنجو منه ألفاظ اللغة، وقد دعت إليه الضرورة المُلِحَة؛ ذلك أن الألفاظ لم توجد لتحبس في خزائن من البلور بل وجدت ليتبادلها الناس بينهم وهو تبادل يفضي ـ مع مرور الزمن وتعاقب الأجيال ـ إلى الانحراف في الدلالة أو المعنى[٤] وقد لاقى السيمانتيك التأريخيّ

(١) أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة د. كمال بشر (دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة) ١١٤.

(٢) ينظر: تمام، اللغة العربية معناها ومبناها ٣١٦

(٣) أولمان، دور الكلمة في اللغة ١٧٠

(٤) ينظر: أنيس، دلالة الألفاظ ١٣، ١٢٣

عناية اللغويين المحدثين فحاولوا حصر هذا الانحراف وتصنيفه على النحو التالي[1]:

أ- التقسيم المنطقي وأبرز مظاهره ما يلي:

١- تخصيص الدلالة أو تضييق المعنى.

٢- تعميم الدلالة أو توسيع المعنى.

٣- تغيير مجال الاستعمال أو نقل المعنى (المجاز).

ب- التقسيم النفسي وأبرز مظاهره ما يلي:

١- المشابهة بين المدلولين.

٢- العلاقة بين المدلولين.

٣- المشابهة بين اللفظين.

٤- العلاقة بين اللفظين.

٥- اللامساس وحسن التعبير.

٦- انحطاط الدلالة أو هبوط المعنى.

٧- رقي الدلالة أو سمو المعنى.

وبالوقوف على مؤلفات ابن قتيبة يمكن القول بأنه سبق إلى الكشف عن أبرز مظاهر هذا الانحراف السابقة، وفيما يلي توضيح ذلك:

أولاً: تخصيص المعنى:

يعد هذا المظهر أبرز ما لفت نظر ابن قتيبة؛ ذلك أن ثمة ألفاظا كانت تدل على معان في لغة العرب، فلما جاء الإسلام اكتسبت تلك المعاني خصوصية شرعية، ومن هنا قسّم المعنى إلى: أصلي وهو ما تدل عليه الكلمة في لغة العرب، وإسلامي هو ما نزل به القرآن الكريم، أو جاء في الحديث النبويّ، وعن ذلك يقول: «وقال

(١) ينظر: أولمان، دور الكلمة في اللغة ١٩٠ فما بعدها. أنيس، دلالة الألفاظ ١٥٢. مختار، علم الدلالة ٢٣٧.

أبو محمد: أصل الصلاة: الدعاء، قال عزّ وجلّ: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ (التوبة: من الآية١٠٣)؛ أي: أدع لهم. وقال تعالى: (وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ (التوبة: من الآية٩٩) أي: دعاؤه، فسميت الصلاة بذلك لأنهم كانوا يدعون فيها...»[١].

ومثل لفظ الصلاة ألفاظ كثيرة خُصِّصت بعد مجيء الإسلام ونزول القران، فأصبحت تدل على معان شرعية: كالشرك والجحد، والكفر، والظلم، والفسق، والزكاة... الخ[٢]، بل إن أثر الإسلام تجاوز ذلك إلى ابتكار ألفاظ لم تكن العرب تعرفها، حيث يقول عن بنية لفظ النفاق: «النفاق في اللغة مأخوذ من نافقاء اليربوع وهو جُحْر من جِحَرَته يخرج منه إذا أُخِذ الجُحْر الذي دخل فيه. فيقال قد نفق ونافق، شبه بفعل اليربوع؛لأنه يدخل من باب ويخرج من باب. وكذلك المنافق يدخل في الإسلام باللفظ ويخرج بالعقد...والنفاق لفظ إسلامي لم تكن العرب قبل الإسلام تعرفه»[٣].

وإذا كان الجاحظ قد سبق ابن قتيبة إلى الإشارة إلى أثر الإسلام في اللغة[٤]، فانّ ابن قتيبة قد اهتدى إلى جعل المعاني اللغوية نبراسا يُهتدي بها إلى معرفة المعاني الجديدة؛ إذ ليست المعاني الجديدة إلا امتدادا لتلك المعاني اللغوية، وتطورا يدل على قدرة العربية على استيعاب كلّ ما هو جديد، لكنه استيعاب يمت إلى الأصل بسبب أدركه من أدركه وجهله من جهله، ويبدو ذلك واضحا جليا من

(١) ابن قتيبة، غريب الحديث ١/١٦٧

(٢) ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن ٢٧ فما بعدها.

(٣) ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر(بيروت، لبنان، دار الكتب العربية، ١٣٩٨هـ) ٢٩

(٤) ينظر: الجاحظ: أبو عثمان عمر بن بحر، الحيوان، تحقيق وشرح د.عبد السلام هارون (المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ- ١٩٦٩م) ١/٣٣٢

خلال وقوفنا على بعض الأمثلة التي ذكرها، والألفاظ التي أوّلها، وذلك نحو قوله:

الكفر في اللغة من قولك كفرت الشيء إذا غطيته، يقال لليل كافر؛ لأنه يستر بظلمته كل شيء. ومنه قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ (الحديد: من الآية ٢٠) يريد بالكفار الزراع. سماهم كفارا؛ لأنهم إذا ألقوا البذر في الأرض كفروه أي: غطوه وستروه، فكأن الكافر ساتر للحق وساتر للنعم(١).

وأحسب أن ابن قتيبة في ربطه المعاني الشرعية بأصولها الاشتقاقية، قد مهد لمن جاء بعده الطريق في الربط بين تلك المعاني اللغوية، والشرعية، بل والاصطلاحية بوجه عام. ومن أبرز المتأثرين به في ذلك أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازيّ (ت ٣٢٢هـ) في كتابه الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، وأحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) في كتابه الصاحبي. فالأول ضمّن كتابه ما يقرب من أربع مائة كلمة من كلمات القرآن والحديث النبوي الشريف وغيرها، مما يتردد على السنة الفقهاء والعلماء والمؤلفين. وهو ما نص عليه المؤلف في مقدمته؛إذ يقول: «هذا كتاب فيه معاني أسماء، واشتقاقات ألفاظ، وعبارات عن كلمات عربية، يحتاج الفقهاء إلى معرفتها، ولا يستغني الأدباء عنها، وفي تعلّمها نفع كبير وزينة عظيمة لكل ذي دين ومرؤة.. وبدأنا فيه بفضل لغة العرب.. ثم ذكرنا معاني أسماء تذكر باللغة العربية مما هي في العالم ومما جاءت في الشريعة مثل: الأمر والخلق والقضاء...»(٢).

وفي أثناء هذا الكتاب يجد الدارس الكلمة من القرآن وقد بيّن المؤلف معناها الإسلامي في ضوء النص القرآني ثم المعنى اللغويّ كما ورد في معاجم اللغة(٣)،

(١) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن٢٨

(٢) الرازي: أبو حاتم محمد بن إدريس، الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، (مصر، دار الكتاب العربي ط٢، ١٩٥٧م) ١/٥٦ فما بعدها

(٣) عودة خليل، التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن (الأردن، الزرقاء، مكتبة المنار ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) ٣٩

وبالجملة فالكتاب امتاز كما يقول مازن المبارك باستيعاب بحث هذه الظاهرة وجمع ما تفرق منها عند غيره(١).

أمّا ابن فارس، فقد عقد لذلك بابا أسماه: باب الأسباب الإسلامية، يقول فيه: «كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم. فلما جاء الله جلّ ثناؤه بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات، وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ عن مواضع إلى مواضع آخر بزيادات زيدت، وشرائع شرعت، وشرائط شرطت. فعفى الآخر على الأول، وشغل القوم بعد المغاورات والتجارات... بتلاوة الكتاب العزيز... فكان مما جاء في الإسلام – ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق. وأن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافا بها سمِّي المؤمن مؤمنا...فأما المنافق فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه، وكان الأصل من نافقاء اليربوع...»(٢).

ثانياً: تعميم المعنى:

تنبه ابن قتيبة لهذا المظهر من مظاهر التطور الدلالي وإن لم ينصص على ذلك صراحة، ومن أمثلته التي ذكرها:

أن الأصل في الناسك، الذابح لله عز وجل، وكان لا يَذبح لله القربان من بني إسرائيل إلا العبّاد، وكانوا يُدعون نساكا لهذه العلة، ثم استعير الناسك لكل عابد وإنّ لم يذبح(٣).

والأصل في العقل بمعنى الدّية، أن الإبل كانت تُجمع وتُعقل بفناء ولي المقتول فسميّت الدية عقلا، ثمّ عمم ذلك ليشمل أنواع الدية وان كانت دراهم ودنانير(٤).

(١) مازن المبارك ،نحو وعي لغوي، (بيروت، مؤسسة الرسالة ط٢ ،١٤٠٦هـ-١٩٨٥م) ١٠٥

(٢) ابن فارس، الصاحبي ٧٨ فما بعدها

(٣) ابن قتيبة، غريب الحديث ٥٦

(٤) ابن قتيبة، أدب الكاتب٦٣

وأما الأصل في الأسير فإنهم كانوا إذا اخذوا أسيرا شدّوه بالقدّ، فلزم هذا الاسم كلّ مأخوذ، شُدّ به أو لم يشدّ(١).

ولأهمية المعنى الأصلي ـ عند ابن قتيبة ـ رأيناه يحرص على بيان الأصل ثم ما استقر عليه اللفظ من معنى جديد كما هو بيّن في النماذج أعلاه.

أما الملاحظ على هذا النوع من التطور، فإنه يختلف عن سابقه (تخصيص المعنى)، فالمعنى الجديد في حال التعميم، يغلب على المعنى القديم، ويخرجه من دائرته الضيقة إلى دائرة أعم، بل ويصبح مما أسماه القدماء بالكليات، وهي تلك الكلمات التي عبر عنها أئمة اللغة القدماء بلفظ كلّ(٢) وذلك واضح في تحليل ابن قتيبة للألفاظ السابقة، وبخاصة لفظ الناسك، ولفظ الأسير. ويبدو أن هذا ما دفع بالعلماء إلى تقسيم الحقيقة إلى ثلاثة أقسام(٣):

١– الحقيقة اللغوية، وهي اللفظ المستعمل فيما وضع له أولا في اللغة، كالأسد المستعمل في الحيوان المعروف، وهي أساس اللغة أما ما سواها من الحقائق الأخرى فهي نقل لها.

٢– الحقيقة الشرعية: وهي اللفظ الذي يستفاد من جهة الشرع، ووضع لمعنى غير الذي كان يدل عليه في أصل وضعه اللغوي كلفظ الصلاة والحج ونحوها. (وهذا هو التخصيص).

٣– الحقيقة العرفية: وهي التي نقلت من مسماها اللغوي إلىٰ غيره بعرف

(١) ابن قتيبة، أدب الكاتب٦٣

(٢) ينظر: على سبيل المثال، الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون (الطبعة الثالثة ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م) ١٠

(٣) السكاكي ، مفتاح العلوم ، تحقيق أكرم عثمان يوسف (العراق ، مطبعة دار السعادة ، بغداد ١٤٠٢هـ) ١٧٠ . الخطيب القزويني ،الإيضاح في علوم البلاغة تحقيق محمد خفاجي (بيروت، دار الجيل، ط٣، ١٤١٤هـ) ٢٦٥ . أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها (المجمع العلمي العراقي ١٤٠٦هـ)٢/ ٤٥٥

الاستعمال، وذلك الاستعمال قد يكون عاما، وقد يكون خاصا، كالناسك والتيمم.

أمّا السبب في هذين النوعين من التطور فهو كثرة الاستعمال الذي يفضي بالكلمة إلى تعميم مجال استعمالها بعد أن كان خاصا، أو تخصيص مجال استعمالها بعد أن كان عاما؛ وذلك ما يستنبط من تفسير ابن قتيبة لبعض مسائله، نحو قوله: «وقولهم بيننا وبينهم مسافة، أصله من السَّوف، وهو الشم، وكان الدليل بالفلاة ربما أخذ التراب فشمه، ليعلم أعلى قصد هو أم على جور ثم كثر ذلك حتى سمّوا البعد مسافة»(١)، ويقول في موضع آخر:«والتيمم بالصعيد أصله التعمّد، يقال تيممتك، وتأممتك، وأممتك..ثم كثر استعمال هذه الكلمة حتى صار التيمم مسح الوجه واليدين بالتراب»(٢).

ولو عرضنا تعليل ابن قتيبة على ما تمخضت عنه الدراسات الدلالية في العصر الحديث، لوجدنا أنّ الاستعمال يعدّ من أبرز عوامل التطور الدلالي عند المحدثين؛ ذلك أن الألفاظ لم تخلق لتحبس في خزائن من الزجاج أو البلور ولكنها وجدت؛ ليتداولها الناس في حياتهم الاجتماعية فإذا ورثتها الأجيال الناشئة لم ترثها على حالها الأولى، بل ترثها مع بعض الانحراف في المعنى نتيجة لتنوع التجارب والأحداث التي يمر بها الفرد والمجتمع وما يكتنف ذلك من ظروف وملابسات تؤدي إلى سوء الفهم أو بلى اللفظ أو ابتذاله وتلك هي أوضح عناصر الاستعمال كما يراها الدكتور إبراهيم أنيس(٣).

ثالثاً: نقل المعنى:

يُعدّ ابن قتيبة من السابقين إلى بيان أسباب هذا المظهر من مظاهر التطور

(١) ابن قتيبة، أدب الكاتب٦٣

(٢) ابن قتيبة، أدب الكاتب٦٥

(٣) أنيس، دلالة الألفاظ ١٣٤ فما بعدها بتصرف.

الدلالي؛ إذ يقول: «والعرب تسمِّى الشيء باسم الشيء إذا كان مجاوراً له أو كان منه بسبَبٍ على ما بينَّتُ لك في (باب تسمية الشيء باسم غيره)[١]، ويقول في موضع آخر تحت باب الاستعارة: « فالعرب تستعير الكلمة، إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى، أو مجاورا لها، أو مشاكلا. فيقولون للنبات: نوء لأنه يكون عن النوء عندهم، قال رؤبة بن العجاج: وجفّ أنواء السحاب المرتزق.

ويقولون للمطر سماء؛ لأنه من السماء ينزل، فيقال مازلنا نطأ السماء حتى أتيناكم، قال الشاعر:

إذا سقط السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا»[٢]

وظاهر كلام المؤلف أنه يخلط بين الاستعارة والمجاز المرسل فليس في تمثيله المتقدم استعارة واحدة بل هو من قبيل المجاز المرسل قطعا[٣]، ولكن كلامه يدل أيضا على أنه أدرك نوعيين من أنواع العلاقة بين المعنى القديم والمعنى الجديد، فالسببية والمجاورة من علاقات المجاز المرسل، أما المشاكلة فهي من خصائص الاستعارة[٤].

وقد كان لهذه البارقة صداها لدى القدماء من علماء العربية، يقول ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): «قال علماؤنا: العرب تسمي الشيء باسم الشيء إذا كان مجاورا له أو كان منه بسبب، وذلك قولهم (التيمم) لمسح الوجه من الصعيد، وإنما التيمم الطلب والقصد...»[٥]. ويقول الثعالبيّ (ت ٤٣٠هـ): «العرب تسمي الشيء

(١) أدب الكاتب ٢١ (مع ملاحظة أني لم اعثر على باب تسمية الشيء باسم غيره).

(٢) تأويل مشكل القرآن١٣٥ ، وينظر أدب الكاتب٨٥

(٣) المطعني: عبد العظيم إبراهيم، المجاز في اللغة وفي القرآن الكريم بين مجوزيه ومانعيه (القاهرة، مطبعة حسان ط١)١/ ٦٨

(٤) المطعني، المجاز في اللغة والقرآن ١/ ٦٨

(٥) ابن فارس، الصاحبي ١١٠

باسم غيره إذا كان مجاورا له أو كان منه بسبب كتسميتهم المطر بالسماء لأنه منها ينزل وفي القرآن: ﴿ يُرْسِلِ السَّماءَ عليكُم مِدْرَارا ﴾ أي المطر وكما قال جلَّ اسمه: ﴿ إني أراني أعصِرُ خَمرا ﴾ أي عنبا ولا خفاء بمناسبتها وكما يقال: عفيف الإزار أي عفيف الفرج في أمثال له كثيرة »(١).

ونستطيع القول بأن التطور في هذه الحالة يختلف عن سابقيه؛ فالمعنى القديم أوسع، أو أضيق من المعنى الجديد في التخصيص والتعميم، ومساويا له في النقل(٢)، والدلالة في النقل لا تنكمش ويتضاءل محيطها فتخصص ولا يتسع معناها فتعمم(٣)، بل تنتقل من مجال إلى آخر لأدنى ملابسة أو مشابهة بين المعنى القديم والمعنى الجديد(٤)؛ وذلك عن طريق الخروج على قوانين السمات الدلالية للمعنى الأساسي عن طريق الاستعارة والمجاز(٥).

ولذلك يرى المحدثون أن هذا النوع من التطور الدلالي (نقل المعنى) من أبرز أشكال تغير المعنى؛ وذلك لتنوعه أولا، ولاشتماله ثانيا على أنواع المجازات القائمة على التخيلات(٦).

وخلاصة القول: فإنّ ما تنبه له القدماء، وأقرّه المحدثون، من أهمية دور المجاز في نقل المعنى، عُدّ لدى المطعني فضل سبق لابن قتيبة،إذ يقول: « وقد اكتسب البحث المجازي عنده قيمة عظيمة لم تعرف له قبله . ودخل في ميادين جديدة كانت غير معروفة عند سابقيه وولد المجاز باسمه ورسمه، في مباحثه بعد أن كان جنينا يرى أثره من وراء حجاب . .فإن صح أن تطور البحث المجازي لم يتم عند

(١) الثعالبي ، فقه اللغة ٤٣

(٢) مختار ، علم الدلالة، ٢٤٧

(٣) فايز الداية ، علم الدلالة العربي (دمشق ، دار الفكر ط١ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) ٣١٤

(٤) ينظر: أنيس ، دلالة الألفاظ ٢١٠ . علم اللغة ، علي عبد الواحد ٢٨٩

(٥) لمعرفة تلك السمات، ينظر: الخولي، مدخل إلى علم اللغة ١٣٧

(٦) ينظر: مختار علم الدلالة ٢٤٩ . فندريس ، اللغة ٢٥٦

اللغويين إلا على يد ابن قتيبة، فان هذا التطور تسرب إلى المباحث اللغوية من رجال الأدب ورواده الذين سنعرض لجهودهم في هذا المجال . . . »(١).

موقف ابن قتيبة من التطور الدلاليّ:

رأينا ـ فيما سبق ـ أنّ ابن قتيبة ممن يؤمن بتطور الدلالة، وأنه إن لم يكن السابق فهو من السابقين إلى بيان أسباب هذا التطور، كقوله: والعرب تسمِّي الشيء باسم الشيء إذا كان مجاوراً له أو كان منه بسبَبٍ. وكقوله: العرب تستعير الكلمة، إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى، أو مجاورا لها، أو مشاكلا.

ولكنّ قبوله لهذا التطور؛ لأنه وقع على ألسنة الفصحاء، ونزل به القرآن الكريم، وتكلّم به الرسول ﷺ، أما ما وقع في عصره من تطور فهو خطأ، ووضع للألفاظ غير مواضعها؛ لذا يجب إصلاحه والإنكار على من استعمله؛ ومن هنا وجدناه يعقد بابا في كتابه (أدب الكاتب) لبيان هذا الخطأ، وذلك الزلل، يسمه بِبَابُ مَعْرِفَة ماَ يَضَعُهُ النّاسُ غَيْرِ مَوْضِعِه، يقول فيه: «من ذلك (أَشْفَارُ الْعَيْنِ) يذهب الناس إلى أنها الشّعَرُ النابت على حروف العين وذلك غلط إنما الأشفار حروف العين التي ينبت عليها الشعر، والشَّعَرُ هو الهُدْب. وقال الفقهاء المتقدمون: في كل شُفر من أشفار العين رُبْعُ الدية يعنون في كل جَفْن وَشُفْر كل شيء: حَرْفه وكذلك شَفِيره ومنه يقال: (شَفِيرُ الوادي) (وشُفْرُ الرَّحم) فإن كان أحد من الفصحاء سَمَّى الشعر شُفْرا فإنما سماه بمَنْبِته والعرب تسمِّي الشيء باسم الشيء إذا كان مجاوراً له أو كان منه بسبَبٍ على ما بيَّنتُ لك في (باب تسمية الشيء باسم غيره»(٢).

ثم يمضي في ذكر عدد من النماذج التي أساء الناس استعمالها في عصره، كحُمة العقرب والزنبور، والطرب، والحشمة، والقافلة، والمأتم، والحمام، والربيع . .الخ.

(١) المطعني، المجاز في اللغة وفي القرآن ١ / ٦١

(٢) أدب الكاتب ٢١

وهذا الخطأ أو التوليد ـ كما يسميه حلمي خليل ـ الذي أصاب اللغة ومن بينها الدلالة، قد لفت انتباه العلماء وعلى رأسهم ابن قتيبة الذي حاول في كتابه أدب الكاتب أن يضع منهجا للثقافة اللغوية الضرورية لكتّاب الدواوين في عصره، ويكشف عما كان يقع في لغتهم من وهم في المعنى أو الاشتقاق أو التركيب(١) بل إنّ الكتاب كما يرى ـ محمد خلف الله ـ أوّل كتاب منظم، في موضوعه في تاريخ التأليف العربي، لم تسبقه إلا أقوال أو رسائل توجيهية لعل أطول ما حفظه التاريخ منها رسالة عبد الحميد الكاتب (ت ١٣٢هـ) إلى الكتّاب(٢).

ويفسر لنا أحد الباحثين هذه التوجه من ابن قتيبة ومن نحا نحوه بقوله: «ومما يؤكد خطورة هذه الظاهرة على العربية أن علماء الإسلام ـ حرصا منهم على لغة القرآن ـ تصدوا لها وألفوا كتبا عديدة، منبهين فيها إلى لحن العامة والخواص.. فضمنوا بذلك صفاء لغتنا المكتوبة، وحفظوها من العبث والفساد.»(٣).

أما المحدثون فلهم ملاحظات على هذا المنهج، فهو منهج يرى فيه إبراهيم أنيس، أن اللغويين العرب بصنيعهم هذا، قد قصروا السليقة اللغوية على قوم معينين، وزمن معين، وبيئة معينة؛ فنشأ في مخيلتهم ما يمكن أن يُعبر عنه بدكتاتورية الزمان، والمكان(٤). ويرى تمام حسان أنّ مثل هذا التفكير لابد أن يقود إلى المعيارية؛ لأنه سيحتم فرض قاعدة من مرحلة على مثال من مرحلة أخرى(٥).

ولكن الرأي الذي نطمئن له هو رأي عبد العزيز مطر القائم على تحديد مقياس

(١) ينظر: حلمي خليل، المولد: دراسة في نمو وتطور اللغة العربية بعد الإسلام (الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية ١٩٧٨م) ٢٩٤

(٢) ينظر: حلمي خليل، المولد ٢٩٢ نقلا عن: بحوث ودراسات في العروبة وآدابها ٥٠.

(٣) نايف معروف، خصائص العربية وطرائق تدريسها (بيروت، دار النفائس ط١، ١٤٠٥هـ) ٥٥

(٤) أنيس، من أسرار اللغة (مكتبة الأنجلو المصرية، ط٦ ١٩٧٨م) ٢٧

(٥) تمام اللغة بين المعيارية والوصفية (الدار البيضاء، دار الثقافة) ١٩٠

دقيق للحكم على اللحن أو الخطأ في العربية، والذي ينبغي أن يراعى فيه أمران[١]:

أحدهما: المحافظة على سلامة اللغة العربية.

الآخر: مراعاة التطور الذي تخضع له اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية مع حراسة هذا التطور.

وعلى ضوء ذلك يرى أنّ بعض اللغويين[٢] ـ على الرّغم من تشددهم ـ كابن قتيبة قد اعترفوا بكثير مما يمكن تخريجه في ضوء قوانين التطور الدلالي في حدود العلاقة بين المعنى المنقول منه والمنقول إليه، فقد ردّ ابن قتيبة على من خطأ العامة في قولهم: (خرجنا نتنزّه) إذا خرجوا إلى البساتين، قائلا: « وكان بعض أصحاب اللغة يذهب في قول الناس (خرجنا نتنزَّه) ـ إذا خرجوا إلى البساتين ـ إلى الغَلَطِ وقال: إنما التنزه التباعد عن المياه والريف ومنه يقال (فلان يتنزه عن الأقذار) أي: يُبَاعد نفسه عنها (وفلان نزيهٌ كريمٌ) إذا كان بعيداً عن اللؤم وليس هذا عندي خطأ لأن البساتين في كل مصر وفي كل بلد إنما تكون خارج المصر فإذا أراد الرجل أن يأتيها فقد أراد أن يتنزه أي: يتباعد عن المنازل والبيوت ثم كَثُرَ هذا واستعمل حتى صارت النزهة القعود في الخُضَرِ والجِنَانِ »[٣].

المبحث الثالث: العلاقات الدلالية بين الألفاظ

وتتحقق هذه الظاهرة –كما يقول أولمان– في صورتين اثنتين،فقد يرتبط عدد من الألفاظ بمدلول أو العكس، أي يكون الارتباط بين مدلولات عدة ولفظ واحد[٤]. وقد أدرك علماء العربية منذ بداية الدرس اللغويّ هذا النوع من الارتباط بين المفردات ودلالاتها، يقول سيبويه: « هذا باب اللفظ للمعاني: اعلم أن

(١) عبد العزيز مطر، لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة (القاهرة،دار المعارف ط٢، ١٤٠١هـ) ٦٣

(٢) لحن العامة ٣٦٠ فما بعدها

(٣) أدب الكاتب٣٨

(٤) دور الكلمة في اللغة ١١٩

من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين.. فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلس وذهب. واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق. واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجدت عليه من الموجدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة. وأشباه هذا كثير.»[١].

والحقيقة الأولى التي قررها سيبويه هي أصل اللغة[٢]، ووجه القياس الذي يجب أن تكون عليه الألفاظ [٣]، وهو أكثر كلام العرب[٤]، لأن الأصل في الألفاظ أن تكون مختلفة باختلاف المعاني[٥]، فتنفصل المعاني بألفاظها ولا تلتبس[٦]، أما الحقيقة الثانية فقد أطلق عليها العلماء مصطلح الترادف[٧]، وأما الحقيقة الثالثة فاصطُلِح على تسميتها بالمشترك اللفظي والمتفق[٨]، وقد قسمه بعضهم إلى ما يقع على ضدين كالجون، وما يقع على مختلفين غير ضدين كالعين[٩]. وسنقف فيما يلي على كل ظاهرة من هذه الظواهر بغية الوقوف على مفهوم هذه الظواهر لدى ابن قتيبة.

---

(١) سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون (عالم الكتب، بيروت ١٩٨٣م) ١/ ٢٤

(٢) مندور ،مصطفى مندور، اللغة بين العقل والمغامرة (الإسكندرية، منشأة المعارف) ١٥٠

(٣) ابن سيده، المخصص (بيروت المكتب التجاري للطباعة والتوزيع)١٣/ ٢٥٨

(٤) ابن فارس ، الصاحبي ١١٤

(٥) الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد ، مقدمة جامع التفاسير ، تحقيق د. احمد حسن فرحات (الكويت ، دار الدعوة ، ط١ ١٤٠٥هـ) ٢٩

(٦) المخصص لابن سيده١٣/ ٢٥٨

(٧) لعيبى، حاكم مالك، الترادف في اللغة (منشورات وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨٠م، الجمهورية العراقية) ٣٢.

(٨) مقدمة جامع التفاسير للراغب الأصفهاني٢٩

(٩) ينظر: السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرون (القاهرة، دار إحياء العربي ، عيسى البابي الحلبي وشركاه) ١/ ٣٨٧

أولاً: تعدد اللفظ (الترادف)

ويقصد بالترادف عند القدماء: دلالة عدة كلمات مختلفة ومنفردة على المسمى أو المعنى الواحد نحو: الشَّمُول، والعُقار، والقَرْقَف، والخندريس، والرّاح، والمُدامة في دلالتها على الخمر(١). أما عند المحدثين: فألفاظ متحدة المعنى، وقابلة للتبادل فيما بينها في أي سياق(٢).

وقد تباينت آراء اللغويين ـ قديما وحديثا ـ بين مثبت له وناف لوقوعه ومتردد بين وقوعه سواء كان ذلك في اللغة أم القرآن(٣). ولكن المحققين من القدماء والمحدثين يرون إمكان وقوعه وعدم استحالته(٤)؛ وذلك إذا تحققت فيه شروط الترادف الحقيقي أو التام كما يسميه المحدثون، وأبرز تلك الشروط(٥):

١- الاتحاد في البيئة، والعصر.

٢- الاتفاق في المعنى بين الكلمتين اتفاقا تاما، مع ضرورة استبدالهما في سياق واحد.

٣- ألا تكون إحدى الكلمتين نتيجة للتطور الصوتي.

أما عن موقف ابن قتيبة من الترادف، فلم نجد عنده مصطلحا لهذه الظاهرة؛

(١) المزهر للسيوطي ١/ ٤٠٢

(١) أولمان، دور الكلمة في اللغة ٩٨. عبد التواب، رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية (القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٦ -١٤٢٠هـ) ٣٠٩. أنيس، في اللهجات العربية (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٢م) ١٨٧

(٣) لمعرفة هذه الآراء يمكن الاطلاع على: مختار، علم الدلالة ٢١٥-٢٢٠. دريد، علي اليمني، أسرار الترادف في القرآن الكريم (الفيوم، دار ابن حنظل للطباعة والنشر والإعلان ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م) ١٢. شودري، محمد أكرم، الترادف اللغوي في القرآن الكريم (مكة المكرمة، المكتبة الفيصلية ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م) ٢٨-٤٤. حاكم مالك، الترادف في اللغة، الفصل الثالث ١٩٣ فما بعدها

(٤) ينظر: السيوطي، المزهر ١/ ٤٠٥. ابن جني، الخصائص ١/ ٢٦٢. أولمان، دور الكلمة في اللغة، ٩٨، أنيس، في اللهجات العربية ١٦

(٥) أنيس، اللهجات العربية، ١٧٨، ودلالة الألفاظ ٢١٣. حاكم مالك، الترادف في اللغة ٦٦

غير أنه عقد أبوابا لبعض الأفعال التي تكون بمعنى واحد، والتي يُتوهم أنها من الترادف، وذلك نحو: باب فَعَلْتُ، وَأَفْعَلْتُ باتفاق المعنى، مثل: جَدّ فُلاَنٌ في أمره، وَأجَد. ولاقَ الدَّواة، وألاَقَهاَ، وضاء القمر، وأضاء(١).

وباب فَعَلْتُ وأفْعَلْتُ باتفاق المعنى واختلافهما في التعدية، نحو: زَرَيْتُ عليه، وأزْرَيْتُ به ورَفَقْتُ به وأرْفَقْته. وأنْسَأ الله أجلَه ونَسَأ في أجله(٢).

ونحو ذلك مما يدخل تحت المعاني الوظيفية الصرفية التي لا تمت إلى المعنى المعجمي بصلة. ولكننا لا نعدم بعض الأمثلة التي توحي بتقبله لهذه الظاهرة في العربية، وذلك نحو قوله: القاسية والعاتية واحد، وهي اليابسة(٣). وكقوله: أهل الحجاز يسمون الدبس: الصقر والعفار(٤). وكقوله: جذذت وجددت وجذفت وجدفت؛ إذا قطعت(٥).

وقوله: همزت فلانا ولمزته إذا اغتبته وعبته، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ (الهمزة: ١).

أسباب الترادف لدى ابن قتيبة:

نخلص من هذه النماذج السابقة إلى استنباط أسباب الترادف لدى ابن قتيبة، وهي:

أولا: اختلاف لغات العرب بما يوهم أنه ترادف، وهو في حقيقته ليس ترادفا حقيقيا، وذلك نحو قوله: وأهل الحجاز يسمون الدبس: الصقر والعفار(٦). وكقوله: العواهن هي السعفات اللواتي بين القِلَبَة وأهل نجد يسمّونهن الخوافي(٧).

(١) ابن قتيبة، أدب الكاتب ٤٣٣

(٢) ابن قتيبة، أدب الكاتب٤٤٤

(٣) تفسير غريب القرآن ١٤٢

(٤) ابن قتيبة، أدب الكاتب ٨٠

(٥) ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن٢١٠

(٦) ابن قتيبة، أدب الكاتب ٨٠

(٧) ابن قتيبة، تفسير غريب الحديث ١/٥٩٦

وهذا النوع من الترادف غير الحقيقي كان مقبولا عند القدماء، يقول أبو هلال العسكريّ: «فإذا اعتبرت هذه المعاني وما شاكلها في الكلمتين ولم يتبين لك الفرق فاعلم أنهما من لغتين مثل القدر بالبصريّة والبرمة بالمكيّة...»(١) ويقول حمزة الأصفهاني: «وينبغي أن يحمل كلام من منعه على منعه في لغة واحدة،فأما في لغتين فلا ينكره عاقل.»(٢).

ثانيا: الإبدال، ومن ذلك ما وقع في تفسيره لبعض آيات القرآن الكريم،وذلك نحو قوله: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيّاً﴾ (مريم: من الآية٨) يقال: عتا وعسا، بمعنى واحد(٣).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ (هود:١٠٨)

يقال: جذذت وجددت وجذفت وجدفت؛ إذا قطعت(٤).

فالإبدال واضح جليّ في هذه الكلمات موضع الشاهد، وهي في حقيقتها كلمة واحدة، طرأ عليها عارض صوتي أدى إلى التغيّر في صورتها لدى قبيلة من القبائل العربية، فأصبحت ذات صورتين إحداهما أصل والأخرى فرع، ومما يدل على ذلك ما رواه اللحيانيّ، قال: قلت لأعرابي: أتقول مثل حنك الغراب أو مثل حلكه ؟ فقال: لا أقول مثل حلكه!(٥)، ولا أظن أن ذلك كان يخفى على ابن قتيبة، خاصة وأنه عقد لذلك بابا أسماه: باب المُبْدَل قال فيه: «قالوا: (مَدَهْتُه) بمعنى (مَدَحْتُه) (والأيْم) (والأيْن) الحَيَّةُ، والقَبْر (جَدَثٌ) (وجَدَفٌ)...»(٦).

(١) الفروق اللغوية (القاهرة، مكتبة القدسي ١٣٥٣هـ) ١٦

(٢) المزهر ١/ ٤٠٥

(٣) ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن٢٧٢

(٤) ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن٢١٠

(٥) المزهر١/ ٤٧٥، وللمزيد من ذلك، ينظر: دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح ٢١٣فما بعدها.

(٦) ابن قتيبة، أدب الكاتب ٤٨٥

وقد أفصح ابن قتيبة عن ذلك بقوله ـ في موضع آخر ـ: « فالهذليّ يقرأ (عَتَّى حين) يريد (حَتَّى حين) .. ولو.. أُمِر أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا ـ لاشتد ذلك عليه، وعظمت المِحنَة فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان، وقطع للعادة..»(١).

وبهذا يتضح أن ابن قتيبة لا يرى في مثل هذا النوع والذي سبقه ترادفا حقيقيا وإن أقرّ به، وإنما هي لغات متباينة كما في أمثلة الطائفة الأولى أو لغات اتفقت بطريق الإبدال كما في الطائفة الثانية، وأن أحد اللفظين أصل، والآخر فرع عنه. ومما يقوي ذلك، قوله في تفسير لفظ (مُتَّكَأً): «وأين ما كان فاني لا أحسبه سمي مُتَّكَأً إلا بالقطع، كأنه مأخوذ من البَتْك وأبدلت الميم فيه باء. كما يقال: سمّد رأسه وسبَّده. وشرّ لازم ولازب والميم تبدل من الباء كثيرا لقرب مخرجهما. ومنه قيل للمرأة التي لم تخفض والتي لا تحبس بولها: مَتْكاء ـ أي خرقاء ـ والأصل بَتْكاء»(٢).

وهذا الذي لمسه ابن قتيبة، ذهب إليه جلّ علماء اللغة المحدثين، يقول إبراهيم أنيس: «إن الكلمة ذات المعنى الواحد حين تروي لها المعاجم صورتين أو نطقين ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يجاوز حرفا من حروفها، نستطيع أن نفسرها على أن إحدى الصورتين هي الأصل والأخرى فرع لها أو تطور عنها»(٣). وذلك فرق ما بين الإبدال والترادف، ولكنّ ذلك مشروطا عندهم بوضوح الصلة الصوتية بين الحرفين المبدل والمبدل منه(٤).

ثالثا: المجاز: يقول ابن قتيبة: «وأما قوله: ﴿وَجَعَلنا نَوْمَكُمْ سُباتًا﴾ (النبأ ٩)

(١) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ٣٩، ٤٠ بتصرف.

(٢) ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن ٢١٦

(٣) أنيس، من أسرار اللغة ٧٥، وينظر: مختار، علم الدلالة ٢٢٧

(٤) ينظر: حاكم مالك، الترادف في اللغة ٢٨٥ فما بعدها.

فليس السبات ههنا النوم .. ولكن السبات الرّاحة. ومنه قيل: يوم السبت.. وأصل السبت: التّمدد، ومن تمدد استراح.. ثمّ قد يسمّى النوم سُباتا؛ لأنه بالتمدد يكون. ومثل هذا كثير وستراه في (باب المجاز) إن شاء الله.»[1]، وهذا أيضا من الترادف غير الحقيقي؛ لأنه ـ على حدّ تعبير ابن قتيبة ـ مجاز، وليس حقيقة.

وخلاصة القول: فالذي يظهر لي في هذه المسألة، أن ابن قتيبة ممن يرفضون الترادف التام، بل يمكن عدّه من المانعين المتشددين في دفعه، وشاهد ذلك أن جلّ ما خطأ فيه أهل عصره تحت باب: معرفة ما يضعه الناس غير موضعه، هي من الألفاظ التي يُتَوَهَم أنها بمعنى واحد كالظل والفيء، والفقير والمسكين والحمد والشكر، والجبهة والجبين. حيث يقول:

(الظلُّ والْفَيءُ) يذهب الناس إلى أنهما شيء وَاحد وليس كذلك لأن الظل يكون غُدْوَةً وعَشِيّةً ومن أول النهار إلى آخره ومعنى الظل السِّتْر.. والفيءُ لا يكون إلا بعد الزوال ولا يقال لما قبل الزوال فيء وإنما سمى بالعشي فيئًا لأنه ظلٌّ فاء عن جانب إلى جانب أي: رَجَع عن جانب المغرب إلى جانب المشرق والفيء هو الرجوع ومنه قول الله عز وجل: ﴿حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ الله﴾ أي: ترجع إلى أمر الله[2].

(الفقير والمسكين) لا يكاد الناس يَفْرُقُونَ بينهما وقد فَرَق الله تعالى بينهما في آية الصدقات فقال جل ثناؤه ﴿إنما الصّدَقَاتُ للفقراء والمساكين﴾ وجعل لكل صنف سَهْمًا والفقير: الذي له البُلْغة من العيش، والمسكين: الذي لا شيء له قال الراعي: (أَمّا الْفَقيرُ الّذي كانَتْ حلُوبَتُهُ ... وَفْقَ الْعيَالِ فَلَمْ يُتْرَكْ لَهُ سَبَد) فجعل له حَلُوبة وجعلها وَفْقًا لعياله أي: قوتاً لا فَضْلَ فيه[3].

(الجَبْهَةُ والْجَبين) لا يكاد الناس يفرقون بينهما فالجبهة: مَسْجِدُ الرجل الذي

(1) ابن قتيبة، تاويل مشكل القرآن ٧٩ فما بعدها بتصرف.

(2) ابن قتيبة، أدب الكاتب ٢٦

(3) ابن قتيبة، أدب الكاتب ٣٤

يصيبه نَدَبُ السجود والجبينان: يكتنفانها من كل جانب جبينٌ[١].

وإذا كان غازي مختار قد علل إنكار ابن فارس للترادف: بتمرس ابن فارس بالاشتقاق، وإيمانه بالتوقيف، وإغلاقه الأبواب على اللغة[٢] فإن المرجح أن إنكار الترادف التام لدى ابن قتيبة، مرده إلى أمرين:

أحدهما: التفكير الاشتقاقيّ الذي يؤمن به، و الذي لا يقف به عند حدود النظرة السطحية للغة، بل يتجاوز ذلك إلى فحص كلمات اللغة وردّها إلى اشتقاقها، ورجع معانيها إلى أصولها، وهي نظرة تعدّ سمة بارزة في تراثه اللغويّ، لكنه لا يتفرد بها، بل يشاركه فيها أصحاب الفكر الاشتقاقيّ قديما وحديثا، وهو تفكير قاد ابن قتيبة ومن نهج نهجه إلى استحالة تساوي المعاني عند اختلاف ألفاظها.

وممن ذهب إلى ذلك من القدماء ابن درستويه (ت٣٤٧هـ)[٣]، وأبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)[٤]، والراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)[٥] وخلاصة مذهبهم في ذلك: استحالة اختلاف الألفاظ والمعنى واحد، وأن كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر، وإلا لكان الثاني فضلا لا يحتاج إليه، وهذا ما جهله كثير من اللغويين وعدوه بابا واحدا.

وممن ذهب إلى ذلك من المحدثين بلومفيلد وغيره، وخلاصة مذهبهم في ذلك: أن الاختلاف الصوتي لا بد أن يصحبه اختلاف في المعنى، وإلا لم يكن ثمة سبب في وجود تلك الألفاظ[٦].

(١) ابن قتيبة، أدب الكاتب ٣٦

(٢) نظرات في علم دلالة الألفاظ عند ابن فارس ٥٣

(٣) تصحيح الفصيح، تحقيق عبد الله الجبوري (بغداد، رئاسة ديوان الأوقاف، ط١، ١٩٧٥م) ٣٣٣ فما بعدها.

(٤) الفروق في اللغة ١٥

(٥) المفردات ١٠ فما بعدها

(٦) ينظر: مختار، علم الدلالة، ٢٢٤ فما بعدها

الآخر: ارتباط العربية بالقرآن والإسلام، حتى أصبح الهجوم عليها هجوما على القرآن والإسلام، والدفاع عنها دفاعا عن القرآن والإسلام ـ كما يقول حلمي خليل ـ(١)، مما أعطى للعربيّة أسباب البقاء والقوة، وأتاح لها سرعة الانتشار في العالم الإسلامي بل تقديس هذه اللغة، والحفاظ عليها، مما حدا بالعلماء إلى الوقوف باللغة عند مرحلة الاحتجاج، وعدم قبول ما يستجد من استعمالات، وعدّه خطأ ولحنا يجب التنبيه عليه، والوقوف في وجهه، وهذا أحد دوافع تأليف ابن قتيبة كتابه (أدب الكاتب) كما سبقت الإشارة إلى ذلك. ومن هنا رأينا ابن قتيبة يربط بين فهم لغة العرب الذين نزل عليهم القرآن، و فهم لغة القرآن؛ إذ يقول: «وإنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره واتسع علمه وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خص الله به لغتها دون جميع اللغات، فإنه ليس في جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة والبيان واتساع المجال ما أوتيته العرب خصّيصى من الله، لما أرهصه في الرسول ﷺ وأراده من إقامة الدليل على نبوته بالكتاب فجعله عَلَمَه، كما جعل عَلَم كلّ نبيّ من المرسلين من أشبه الأمور بما في زمانه المبعوث فيه...»(٢).

وهذا التفكير الاشتقاقيّ التقديسيّ، هو الذي قاد ابن قتيبة إلى تلمس الفروق اللغوية بين ألفاظ اللغة خاصة المترادفة منها،كالفيء والظل والمسكين والفقير وما شاكلها، وهذه الألفاظ لا تتساوى في الاستعمال العربيّ الفصيح كما يرى ابن قتيبة، فمنها ما لا يمكن تبادله كلفظي (الفقير والمسكين)، ومنها ما يسمح الاستعمال به من طرف واحد ولا عكس، وذلك كلفظي (الحمد والشكر)؛ إذ يقول: (الحمد والشكر) لا يفرق الناس بينهما فالحمد: الثناء على الرجل بما فيه من حَسَن تقول: (حَمِدْت الرّجُل) إذا أَثنيتَ عليه بكرم أو حَسَب أو شجاعة

(١) حلمي خليل، المولد بعد الإسلام ٢٦٢

(٢) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ١٢

وأشباه ذلك والشكر له: الثناء عليه بمعروفٍ أولاكَهُ، وقد يوضع الحمد موضع الشكر فيقال (حمدته على معروفه عندي) كما يقال: (شكرت له) ولا يوضع الشكر موضع الحمد فيقالَ: (شكرت له على شجاعته)(١).

ثانياً: تعدد المعنى (الاشتراك اللفظي)

وهو صورة من صور التطور الدّلاليّ لا تنفرد به العربية وحدها بل وجد في اللغات القديمة كالهندية(٢)، والحديثة كالانجليزية والفرنسية(٣). ومن مميزات هذه الظاهرة بقاء المدلولات القديمة جنبا إلى جنب مع المدلولات الجديدة فتظلّ قابلة للاستعمال من غير أن تفقد معانيها(٤)، أو يَعوق ذلك التفاهم اللغويّ؛ لأنّ هناك صمام الأمان الذي يتمثل في السياق(٥). وقد عُرِفت هذه الظاهرة عند القدماء بالمشترك، وحدّها ابن سيده بقوله « واسم مشترك: تشترك فيه معانٍ كثيرة كالعَيْن ونحوها فإنه يجمع معانٍ كثيرة »(٦) وقد تباينت آراء العلماء ـ قديما وحديثا ـ حول مفهومه ووقوعه في اللغة(٧). أما المحدثون فان لهم تقسيمات متعددة سنتحدث عنها في ضوء موقف ابن قتيبة من الاشتراك.

(١) ابن قتيبة، أدب الكاتب ٣٦، وينظر: تفسير غريب القرآن ٢٠

(٢) مختار، البحث اللغوي عند الهنود ١١٣

(٣) ينظر: أولمان، دور الكلمة في اللغة ١١٤. فندريس، اللغة ٢٢٦

(٤) أولمان، دور الكلمة في اللغة١١٥

(٥) أولمان، دور الكلمة في اللغة١٢٦

(٦) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق مصطفى السقا وآخرين (الطبعة الأولى١٩٥٨م) (شرك).

(٧) ينظر: توفيق محمد شاهين، المشترك اللغوي نظرية وتطبيقا (القاهرة، مكتبة وهبة، ط١ ١٤٠٠هـ) ٦٥ فما بعدها. الثبيتي: محمد بن سعيد، المشترك اللفظي بين مفهوم اللغويين وواقع الاستعمال العربي (مكة المكرمة، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، رسالة ماجستير١٤٠٨هـ): الفصل الثالث والرابع.

ابن قتيبة ومفهوم الاشتراك لدى المحدثين:

لم يخض ابن قتيبة هذه الظاهرة وإنما اكتفى بعقد أبواب تحمل في ظاهرها مفهوم الظاهرة هي: باب المصادر المختلفة عن الصَّدْرِ الواحد افتتحه بلفظ (وجد) الذي مثل به سيبويه ثم أردفه بعدد وافر مما يجرى مجراه، وباب أسماء يتفق لفظها وتختلف معانيها، كهَوَى النفس مقصور بالياء والهواءُ الجوُّ ممدود ونحوها، أما ثالث هذه الأبواب وأبرزها فهو: باب اللفظ الواحد للمعاني المختلفة كلفظ القضاء والهدى ونحوها مما ورد في القرآن الكريم بعدة معان. وسنعرض لهذه الأبواب في ضوء تقسيم المحدثين لهذه الظاهرة، وهي:

(١) تعدد المعنى: كلمة واحدة = معنى متعدد (polysemy):

ويدل على كلمة واحدة ومعنى متعدد[١]، ومن أمثلته في اللغة الانجليزية head بمعنى رأس الإنسان ورأس عود الكبريت[٢]. والعلاقة بين المعاني المتعددة في هذه الحالة واضحة[٣]، ومن أهم الأسس التي تقوم عليها هذه العلاقة الاستعارة القائمة على المشابهة بين المعاني المتعددة[٤]، وعلى ضوء ذلك يزيد تعرض تغير معنى الكلمة كلما زاد استعمالها وكثر ورودها في نصوص مختلفة، ومن هنا ينتج ما يسمى بالتأقلم - كما يسميه فندريس - وهو قدرة الكلمة على اتخاذ دلالات متنوعة تبعا للاستعمالات المختلفة التي تستعمل فيها الكلمة وعلى البقاء في اللغة مع هذه الدلالات[٥]. ولكن مهما تعددت الاستعمالات وتنوعت فان أحدها

(١) أولمان، دور الكلمة في اللغة ١١٣ . جون لاينز، علم الدلالة ١٧

(٢) حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية ومعجمية ١٦٧

(٣) مختار، من قضايا اللغة والنحو ٢٤

(٤) ينظر: جون لاينز، علم الدلالة ١٧ . مختار، من قضايا اللغة والنحو (القاهرة، عالم الكتب، ط١ ١٩٧٤م) ٢٥.

(٥) ينظر: فندريس، اللغة ٢٥٣ فما بعدها بتصرف.

يطغى غالبا على ما سواه، وهو الذي يعين معنى الكلمة الأساسي(١)، وهذه القدرة ـ عند أولمان ـ خاصة من الخواص الأساسية للكلام الإنساني، وان نظرة واحدة في أي معجم من معاجم اللغة لتعطينا فكرة عن كثرت ورود هذه الظاهرة(٢). ويرى أن هناك طريقين تتبعهما الكلمات في اكتساب معانيها المتعددة(٣):

أحدهما: تدريجيّ بطيء وهو التغيير في تطبيق الكلمات واستعمالها ثم شعور المتكلمين بالحاجة إلى الاختصار في المواقف والسياقات التي يكثر فيها تكرار الكلمة ومن ثم يكتفون باستعمالها وحدها ومن أمثلة ذلك كلمة (عملية) في الدلالة على العملية العسكرية أو الجراحية أو الصفقة التجارية، إذ ليس من الضروري أن تنص وأنت في المستشفى على أن المراد هو العملية الجراحية وليست العسكرية أو التجارية.

والآخر: قصير يتحقق في الاستعمال المجازي لعلاقة مباشرة بين المعنى القديم والمعنى الجديد، ومن أمثلة ذلك كلمة: « Gran التي تدل على طير الكركى وهو المعنى الحقيقي، وتدل على الآلة المعروفة بالرافعة وهو المعنى المجازي.

ومما يدخل تحت هذا القسم (تعدد المعنى) مما ذكر ابن قتيبة: باب اللفظ الواحد للمعاني المختلفة، وقد ذكر تحته أربعة وأربعين لفظة، وردت في القرآن الكريم بمعان مختلفة؛ غير أنها ـ كما يرى ـ على اختلافها فروع، ترجع إلى أصل واحد(٤)، ومن هذه الألفاظ:

الأمّة(٥):

يرى ابن قتيبة أنّ أصل الأمّة: الصنف من الناس والجماعة، كقوله عزّ وجلّ:

(١) فندريس، اللغة ٢٥

(٢) أولمان، دور الكلمة في اللغة ١١٤

(٣) أولمان، دور الكلمة في اللغة ١١٥

(٤) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ٤٤١-٥١٥

(٥) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ٤٤٥

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ. .الآية ﴾ (البقرة: من الآية٢١٣) أي صنفا واحدا. ثم تصير الأمّة: الحين كقوله عزّ وجلّ: ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾ (يوسف: ٤٥).

كأن الأمّة من الناس القَرْن ينقرضون، فتقام الأمّة مُقام الحين.

ثم تصير الأمة: الإمام الرباني، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (النحل: ١٢٠).

أي إماما يقتدي به الناس؛ لأنه ومن اتبعه أمة، فسمي أمة لأنه سبب الاجتماع.

والأمة: الدين، قال عزّ وجلّ: ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (الزخرف: ٢٢). والأصل أنه يقال للقوم يجتمعون على دين واحد: أمة، فتقام الأمة مُقام الدين.

الضرب(١):

ومن معانيه: الضرب باليد، كقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (محمد: ٤).

والضرب: السير كقوله تعالى: ﴿ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ (المزمل: من الآية ٢٠).

والضرب: التبيين والوصف، قال تعالى: ﴿ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ (المزمل: من الآية ٢٠).

وهذا النوع من الاشتراك هو ما أطلق عليه القدماء مصطلح (الوجوه والنظائر أو

(١) ابن قتيبة، تاويل مشكل القرآن ٤٩٧

الأشباه والنظائر القرآنية) وهو من بواكير العلوم الشرعية، وفرع من فروع التفسير، ونوع من معجزات القرآن عند بعضهم، حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى وجوه متعددة قد تصل إلى عشرين وجها أو أكثر أو أقل، ولا يوجد ذلك في كلام البشر(١). ومن أقدم المصنفات في هذا العلم كتاب الوجوه والنظائر لمقاتل بن سليمان البلخي (ت ١٥٠هـ) وشمل (١٨٣) مادة، عدد وجوهها (٧٦٤) تبدأ بمادة (الهدى) وتنتهي بمادة (الفسق)(٢).

وفي ضوء ما أسماه المحدثون تعدد المعنى أو لفظ واحد = معنى متعدد، نستطيع تفسير جلّ الألفاظ التي أوردها ابن قتيبة تحت هذا الباب؛ إذ الملاحظ أن تعدد تلك المعاني أو الوجوه كثرة أو قلة، جاء نتيجة لقدرة تلك الكلمات على التأقلم واحتمالها سياقات متعددة، وذلك متوقف على شحنة المعنى الذي تحمله بعض الكلمات والتي تدعو إلى الدهشة خاصة الأفعال الكثيرة الشيوع(٣)، ولعل هذا ما دفع بعض مؤلفي الوجوه والنظائر إلى اعتبار تلك الوجوه معنى واحدا، أُختلف في تفسيره، وان جلها عند التمحيص والتدقيق كالسراب، يقول: الحكيم الترمذي (ت٣٢٠هـ) في كتابه تحصيل نظائر القرآن ـ في تعقيبه على كتاب مقاتل بن سليمان ـ : « ... فإنا نظرنا في الكتاب المؤلف في نظائر القرآن، فوجدنا الكلمة الواحدة مفسرة على وجوه، فتدبرنا ذلك، فإذا التفسير الذي فسره: إنما اختلفت الألفاظ في تفسيره، ومرجع ذلك كله إلى كلمة واحدة...»(٤) والكتاب كما

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي ١ / ١٠٢. الإتقان في علوم القرآن (بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) ١ / ١٤٢.

(٢) الكتاب من تحقيق: عبد الله محمود شحاته (الرباط١٩٧٣م).

(٣) ينظر: دور الكلمة في اللغة ١٣٧

(٤) الحكيم الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن، تحصيل نظائر القرآن الكريم، تحقيق حسني نصر زيدان (مطبعة السعادة ط١ ١٣٨٩هـ) ١٩.

يرى الشاذلي ما هو إلا معارضة لكتاب البلخي(١) وقد أفصح ابن الجوزيّ عن المبالغة في عدد تلك الوجوه التي ذهب إليها أصحاب الوجوه والنظائر، حيث يقول: «وقد تساهلت في ذكر كلمات نقلتها عن المفسرين، لو ناقش قائلها محقق لجمع بين كثير من الوجوه في وجه واحد ولو فعلنا ذلك لتعطل أكثر الوجوه ولكنا تساهلنا في ذكر ما لا باس بذكره ...» إلى أن يقول(٢): «فلا يغرنك ما ترى من جنس هذا الكتاب من كثرة الوجوه والأبواب، فإنها كالسراب...»(٣).

ومع تسليمنا بما وجه به ابن قتيبة هذه الظاهرة فإننا لا نسلِّم له ببعض ما قاله في بعض تلك الألفاظ كلفظ (الأمة) مثلا، في دلالته على الجماعة، ودلالته على الحين. ودلالته على الدين، فاللفظ ـ في نظرنا ـ من المشترك اللفظي وليس من تعدد المعنى، ولا عبرة للأصل التاريخي للكلمات في هذه الحالة كما قرّر ذلك المحدثون(٤)؛ فإذا اتفق أن وجد استعمالان غالبان أو أكثر ولم يكن في الإمكان تداخلهما، فمعنى ذلك أننا أمام كلمتين مختلفتين(٥)، وهو ما يمكن أن ينطبق ـ في نظرنا ـ على لفظ (الأمة) بمعنى الجماعة وبمعنى الحين وبمعنى الدين، فنحن أمام استعمالات لا يمكن تداخلهما أو تفسير أحد المعاني في ضوء معنى آخر، كما هو الحال في كلمة (ضرب) بمعنى الضرب باليد، والسير، والوصف، فإن الذي حدث هو خرق لقوانين السمات الدلالية للمعنى الأساسي في الاستعمال، وهو الضرب باليد، أدى إلى خروج الكلمة من معناها الأساسي إلى معنى أضافي هو المعنى المجازيّ، وهذا ما لا نلحظه في استعمال كلمة (الأمة) بالمعني السابقة.

(١) محمد الشاذلي، النظائر في القرآن بين مقاتل والترمذي (مقال بمجلة اللسان العربي عدد ١٥، ج١/ ١١٦).

(٢) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي (بيروت، مؤسسة الرسالة ط١، ١٤٠٤هـ) ٦٤٣.

(٣) نزهة الأعين النواظر٦٤٤

(٤) ينظر: أولمان، دور الكلمة في اللغة ١١٣ . فندريس، اللغة ٢٢٨ . جون لاينز، علم الدلالة ١٨

(٥) ينظر: فندريس، اللغة ٢٥٤

(٢) المشترك اللفظي، ألفاظ متحدة= معان متعددة (Homonymy) :

ويطلق هذا المصطلح على الكلمات المتعددة المعنى المتحدة الصيغة[١]، المتطابقة في النطق المختلفة في المعنى المعجمي[٢]، ويرى المحدثون أنه لا عبرة للأصل التاريخي للكلمات في هذه الحالة،وان أي معرفة تاريخية قد نحصل عليها بخصوص تطور معاني الكلمة هي مبدئيا غير ذات صلة باستعمالها وتفسيرها الحالي، فإذا اتفق أن وجدنا استعمالين غالبين أو أكثر ولم يكن في الإمكان تداخلهما فمعنى ذلك أننا أمام كلمتين مختلفتين يجب أن نعدهما مشركا لفظيا، أما إذا كانت الألفاظ تمثل كلمة واحدة فهو تعدد معنى وليس مشتركا[٣].

وهذا ينطبق على الباب الذي عنونه ابن قتيبة بباب المصادر المختلفة عن الصَّدْرِ الواحد الذي يقول فيه: « يُقَالُ: وَجَدْتُ في الغضب (مَوْجِدَة) ووَجَدْتُ في الحزن (وَجْداً) ووَجَدْتُ الشَّيْءَ (وِجْدَاناً ووُجُوداً) وَافْتَقَرَ فلان بعد (وُجْدٍ). ووَجَبَ القلبُ (وَجِيباً) ووَجَبَتِ الشمسُ (وُجُوباً) ووَجَبَ البيعُ (جِبَةً). وغَلَتِ الْقِدْرُ (غَلْياً وغَلَيَاناً) وغَلَوْتُ في القَوْلِ (غُلُوًّا) وغَلاَ السِّعْرُ (غَلاَءَ) وغَلَوْتُ بالسَّهْمِ (غَلْواً). وكَلّ بَصَرُهُ (كَلَّةً وكُلُولاً) وكذلك اللِّسَانُ وكَلَّ السيفُ (كِلَّةً) إذا لم يقطع وكَلَّ من الإِعْيَاءِ يَكِلُّ (كَلاَلاً). وبَرَأْتُ من المرض (بُرْأً) وَبَرِئْتُ منه (بَرَاءَ) وَبَرَأَ اللهُ الخلْقَ يَبْرَؤُهُمْ (بَرْأً) وَبَرَيْتُ القَلَم أبْرِيه (بَرْياً) . . . »[٤].

(٣) المشترك الصوتي والكتابي، كلمات متقاربة = معان مختلفة (Homography) :

ويطلق هذا المصطلح على الكلمات المتشابهة في النطق والكتابة[٥]، وقد عقد

(١) أولمان، دور الكلمة في اللغة ١١٤

(٢) ينظر: دور الكلمة في اللغة ٦٠ . حلمي خليل، الكلمة ١٦٦ . مختا ر، علم الدلالة ،١٦٧

(٣) ينظر: دور الكلمة في اللغة، ١١٢ فما بعدها، علم الدلالة، جون لاينز١٨، اللغة، فندريس٢٢٨

(٤) ابن قتيبة، أدب الكاتب٣٣٣

(٥) الكلمة، حلمي خليل١٦٦

ابن قتيبة لذلك بابا أسماه: باب أسماء يتفق لفظها وتختلف معانيها، قال فيه: « هَوَى النفس مقصور بالياء والهواءُ الجوُّ ممدود. ورَجَا البئر مقصور بالألف والصَّفَا الصخر مقصور بالألف. والصَّفَا من المودة والشيء والرجاء من الطمع. والْفَتَى واحد الفتيان مقصور بالياء والْفَتَاء من السن ممدود قال الشاعر:

(إِذَا عاش الْفَتَى مِائَتَيْنِ عَاماً ... فَقَدْ ذَهَبَ اللَّذَاذَةُ والْفَتَاءُ)

وَسَنَا البرق مقصور بالألف وَسَنَاءُ المجد ممدود. وَلَوى الرمل مقصور بالياء وَلِوَاءُ الأمير ممدود. وَالثَّرَى التراب الندِيُّ مقصور بالياء وَالثَّرَاء الغني ممدود. وَالْغِنَى من السَّعَة مقصور وَالغِناء من الصوت ممدود...»[1].

ثالثاً: الأضـــــداد

يقصد بالأضداد في اصطلاح اللغويين الكلمات الدالة على معنيين متضادين بلفظ واحد،يقول أبو الطيب: « الأضداد جمع ضدّ، وضدّ كلّ شيء ما نافاه، نحو البياض والسواد، وليس كل ما خالف الشيء ضدّا له: ألا ترى أن القوة والجهل مختلفان وليسا ضدين؟ وإنما ضدّ القوة الضعف، وضد الجهل العلم...»[2]. ومن أشد المنكرين لهذه الظاهرة من القدماء ابن درستويه (٣٤٥هـ) وله كتاب في إبطال الأضداد[3]. بيد أن ابن فارس (٣٩٥هـ) عدّها من سنن العرب، وردّ على من أنكرها، ومثّل لها: بالجون للأبيض والأسود، بل جرّد كتابا ـ على حد قوله ـ للردّ على المنكرين[4].

وخلاصة القول أن اللغويين منقسمون حول هذه الظاهرة إلى مدافع عن

(١) ابن قتيبة، أدب الكاتب ٢٩٩

(٢) الأضداد في كلام العرب،تحقيق عزة حسن،(دمشق ١٩٦٣م) ١٣

(٣) ينظر: المزهر١ /٣٩٦، والفصيح لثعلب، نشر وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، المطبعة النموذجية ط١، ١٩٧٣م) ٣٢٣

(٤) الصاحبي ١١٧

وجودها في لغة العرب والقرآن الكريم، ومنكر لهذا الوجود إنكارا شديدا، لكنهم جميعا ـ كما يقول أحد المهتمين بهذه الظاهرة ـ متفقون على أنها ليست أصلا في الوضع، وإنما دعت إلى وجودها بعض الأسباب(١).

وابن قتيبة ممن اقرّ بوجود هذه الظاهرة سواء في اللغة أم القران، وعقد لها عددا من الأبواب التي تدل على إيمانه بوقوعها؛ لعل أبرزها:

باب تسمية المتضادين باسم واحد، ذكر تحته عددا وافرا من ألفاظ الأضداد كالجون: للأبيض والأسود، والصريم: لليل والصبح، والسدفة: للظلمة والضوء، والجلل: للكبير والصغير..، وأسرّ الشيء: أخفاه، وأعلنه، وأخفى الشيء: أظهره، وكتمه، وشعب الشيء: جمعه، وفرّقه..الخ(٢).

وباب أفعلتُ وفعلتُ بمعنى واحد نحو: أشكيتُ الرجل بمعنى أحوجته إلى الشكايه، أو نزعت عنه الأمر الذي شكاك له(٣).

وباب فعلتُ وفعلتُ بمعنيين متضادين نحو: بعت الشيء، اشتريته وبعته(٤).

ولم يكتف ابن قتيبة بالجانب النظريّ لهذه الظاهرة، لكنه تجاوزها إلى الكشف عنها في القرآن الكريم، وفي أحاديث المصطفى ﷺ، وذلك نحو:

لفظ (شرى)، قال تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: من الآية١٠٢). يقال: شريت الشيء، وأنت تريد اشتريته وبعته، وهو حرف من الأضداد(٥).

لفظ (القرء)، قال تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾

(١) ينظر: ثلاثة كتب في الأضداد، تحقيق محمد حسين ١٢

(٢) ابن قتيبة، أدب الكاتب ٢٠٨ فما بعدها.

(٣) ابن قتيبة، أدب الكاتب ٤٥٣

(٤) ابن قتيبة، أدب الكاتب ٤٥٥

(٥) ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن ٦٠

(البقرة: من الآية٢٢٨) وهي: الحيض، وهي الطهر أيضا[١].

لفظ (الرّهوة) حديث (رَهْوَة تَنْبع ماء) الرهوة: تكون المرتفع من الأرض وتكون المنخفض منها، وهي من حروف الأضداد[٢].

أسباب الأضداد عند ابن قتيبة:

لم يترك ابن قتيبة ظاهرة الأضداد غفلا من التعليل، كما هو الحال في الترادف والمشترك، بل حاول تفسيرها، والكشف عن كنهها وحقيقتها، فعقد بابا خاصا بذلك، عنونه: بباب المقلوب[٣]، ذكر تحته أهم أسباب هذه الظاهرة وهي:

١- أن يوصف الشيء بضد صفته للتطير والتفاؤل، كقولهم: للديغ سليم، تطيرا من السقم، وتفاؤلا بالسلامة. ومثل ذلك الناهل: للعطشان والراوي، والمفازة للفلاة لأنها: مَنْجاة، ومَهْلكة.

٢- المبالغة في الوصف، كقولهم للشمس: جونة، لشدة ضوئها. وللغراب: أعور؛ لحدّة بصره.

٣- الاستهزاء، كقولهم للحبشيّ: أبو البيضاء. وللأبيض: أبو الجَوْن.

٤- أن يكون الأصل واحدا، كقولهم: للصبح صريم، ولليل صريم، لان الليل ينصرم عن النهار، والنهار ينصرم عن الليل، ونحو ذلك كالسدفة: للظلمة والضوء، والصارخ: للمغيث والمستغيث، والظّنّ: لليقين وللشك.

كما تنبه إلى دور السياق في تحديد المعنى، إذ يقول: الناهل: الذي شرب حتى روى، وقد يكون في غير هذا الموضع العطشان وهو حرف من الأضداد[٤]، وذلك ما أكده ابن الأنباريّ (٣٢٧هـ) من القدماء، ضمن دفاعه عن الأضداد في لغة

(١) ابن قتيبة، تاويل مشكل القرآن ٨٦ وينظر: أدب الكاتب ١٨٠

(٢) ابن قتيبة، غريب الحديث١ / ٣٥٢، وينظر: لفظ (الناهل) ١ /٥٣٨

(٣) ابن قتيبة، تاويل مشكل القرآن ١٨٥ فما بعدها

(٤) ابن قتيبة، غريب الحديث١ /٥٣٨، أدب الكاتب٢٠٩

العرب، حيث دفع وهم المتوهمين ولبس الملبسين بأن كلام العرب يصحح بعضه بعضا، ويرتبط أوله بآخره ولا يعرف معنى الخطاب إلا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين (١).

ويبدو أن ورود هذه الظاهرة في القرآن الكريم، وكلام المصطفى ﷺ، هو الذي دفع ابن قتيبة إلى الاهتمام بها اهتماما بالغا، مثله في ذلك مثل غيره من اللغويين(٢)؛ وذلك للرّدّ على الشعوبيين من: أهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب، مما عُدّ منقصة لهم، ومثلبة من مثالبهم، ودليلا على نقصان حكمتهم وهذا ما نص عليه صراحة ابن الأنباريّ (٣٢٧هـ)؛ إذ يقول في مقدمة كتابه: «هذا كتاب ذكر الحروف التي توقعها العرب على المعاني المتضادة، فيكون الحرف منها مؤديا عن معنيين مختلفين، ويظن أهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب، أن ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم، وقلة بلاغتهم، وكثرة الالتباس في محاوراتهم، وعند اتصال مخاطباتهم، فيسألون عن ذلك، ويحتجون بأن الاسم منبئ عن المعني الذي تحته ودالّ عليه، وموضح تأويله...»(٣).

الخاتمة

إن من أبرز ما توصل إليه البحث النتائج التالية:

١- أفضلية اللغة العربية ـ عند ابن قتيبة ـ لما اشتملت عليه من خصائص لا توجد في غيرها من اللغات؛ ذلك أن الله سبحانه وتعالى اختارها لتكون لغة كتابه المعجز، لذا وجب على من يتصدى للقول في القرآن، أن يُلِّم بمعرفة لغة العرب وطرقها في القول وتفننها في الأساليب.

---

(١) الأضداد ٢

(٢) علم الدلالة، مختار ١٩٩

(٣) الأضداد ١.

٢- إدراك ابن قتيبة لأهم أنواع الدلالة، مما كان لذلك الأثر البارز فيمن أتى بعده، كابن جني وابن فارس وغيرهما، وهو ما أقرته الدراسات الحديثة في هذا الجانب.

٣- إدراك ابن قتيبة لأثر الإسلام في اللغة، ومحاولة الربط بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي، وأثر ذلك فيمن جاء بعده، كالرازي في كتاب الزينة، وابن فارس في الصاحبي، ومقاييس اللغة.

٤- وضع ابن قتيبة يده على أبرز مظاهر التطور الدلالي، وأقرّ بذلك التطور في لغة العرب، لكنه وقف من ذلك التطور موقف الناقد، بل المخطئ لما ورد منه في عصره

٥- إدراك ابن قتيبة لأبرز العلاقات الدلالية بين الألفاظ، وهي الترادف والاشتراك، مع اهتمامه الخاص بألفاظ الأضداد، وبيان أسبابها، ذلك لأنها مما عدّ طعنا في لغة العرب، وفسادا في حكمتها.

المصـــادر والمراجـــع

* آل ياسين، محمد حسين، ثلاثة كتب في الأضداد، دراسة وتحقيق (عالم الكتب، ط١ ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).
* ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار (دار الكتاب العربي، بيروت لبنان).
* ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر،تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي (بيروت، مؤسسة الرسالة ط١، ١٤٠٤هـ).
* ابن درستويه، عبد الله بن جعفر، تصحيح الفصيح، تحقيق عبد الله الجبوري (بغداد، رئاسة ديوان الأوقاف، مطبعة الإرشاد ط١ ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م).
* ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق مصطفى السقا وآخرين (الطبعة الأولى١٩٥٨م.)، المخصص (بيروت المكتب التجاري للطباعة والتوزيع).
* ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، الصاحبي، تحقيق أحمد صقر القاهرة (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.)، كتاب الفرق، تحقيق د. رمضان عبدالتواب (القاهرة، مكتبة الخانجي ودار الرفاعي بالرياض الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ١٩٨٢م). مقاييس اللغة، تحقيق د. عبد السلام هارون، (مصر، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الثالثة ١٣٩١هـ).
* ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، أدب الكاتب، تحقيق محمد الدّالي (مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٢ - ١٩٨٢م)، تأويل مشكل القرآن تحقيق: السيد أحمد صقر (القاهرة، دار التراث، ط٣، ١٩٧٣م)، تفسير غريب القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر (بيروت، لبنان، دار الكتب العربية، ١٣٩٨هـ)، غريب الحديث، تحقيق د. عبد الله الجبوري (العراق، بغداد، وزارة

الأوقاف، إحياء التراث الإسلامي ط١، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م)

* ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن مكرم، لسان العرب، (بيروت، دار صادر).

* أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي اللغوي ، الإبدال، تحقيق: عز الدين التنوخي (مطبوعات المجمع العلمى العربي، بدمشق)، مراتب النحويين، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم (القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط٢ ١٣٩٤-١٩٧٤م)، الأضداد في كلام العرب، تحقيق عزة حسن، (دمشق ١٩٦٣م).

* أبو عودة، عودة خليل، التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن (الأردن، الزرقاء، مكتبة المنار ط١، ١٠٥هـ-١٩٨٥م).

* الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق عبد الحليم النجار ومراجعة محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب.

* أولمان، ستيفن، دور الكلمة في اللغة، ترجمة د. كمال بشر (دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة).

* الأنبا ري، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار، الأضداد، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم (الكويت ١٩٦٠م).

* أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ (مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة ١٩٧٦م)، في اللهجات العربية (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٢م). من أسرار اللغة (مكتبة الأنجلو المصرية، ط٦، ١٩٧٨م).

* البركاوي: عبد الفتاح، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، (القاهرة، دار المنار، ط١، ١٤١١هـ)

* البلخي: مقاتل بن سليمان، الوجوه والنظائر، تحقيق عبد الله محمود شحاته (الرباط ١٩٧٣م).

* تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب (مكة المكرمة، جامعة أم القرى، معهد اللغة العربية، وحدة البحوث والمناهج ١٤٠٥هـ)، اللغة بين المعيارية والوصفية (الدار البيضاء ، دار الثقافة)، اللغة معناها ومبناها (القاهرة، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة.

* الشبيتي: محمد بن سعيد، المشترك اللفظي بين مفهوم اللغويين وواقع الاستعمال العربي (مكة المكرمة، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، رسالة ماجستير١٤٠٨هـ).

* الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون (الطبعة الثالثة ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م).

* ثعلب، الفصيح، نشر وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي،القاهرة، المطبعة النموذجية ط١، ١٩٧٣م) الجاحظ: أبو عثمان عمر بن بحر، الحيوان، تحقيق وشرح د. عبد السلام هارون (المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ- ١٩٦٩م).

* الجوهري: إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار (القاهرة، دار الملايين، ط٢(١٤٠٢هـ).

* حلمي خليل، المولد: دراسة في نمو وتطور اللغة العربية بعد الإسلام (الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية ١٩٧٨م)، الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، الهيئة المصرية العامة، فرع الإسكندرية (١٩٨٠م).

* الحكيم الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن، تحصيل نظائر القرآن الكريم، تحقيق حسني نصر زيدان (مطبعة السعادة ط١ ١٣٨٩هـ).

* الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم القرآن، (بيروت، دار الجيل ط٣- ١٤١٤هـ).

* الخولي، محمد علي، مدخل إلى علم اللغة (الأردن، دار الفلاح، ط١).

* الدامغاني: الحسين بن محمد، الوجوه والنظائر، تحقيق وترتيب عبد العزيز سيد (بيروت، دار الملايين، ط٣ ١٩٨٠م).
* الدّاية، فايز، علم الدلالة العربي (دمشق، دار الفكر ط١، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م)
* دريد، علي اليمني، أسرار الترادف في القرآن الكريم (الفيوم، دار ابن حنظل للطباعة والنشر والإعلان ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م).
* الراجحي: عبده، النحو العربي والدرس الحديث: بحث في المنهج (بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٩م).
* الرازي: أبو حاتم محمد بن إدريس، الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، (مصر، دار الكتاب العربي ط٢، ١٩٥٧م).
* الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد ،المفردات في غريب القرآن تحقيق محمد سيد كيلاني (مصر، مطبعة البابي الحلبي وأولاده ١٣٨١ - ١٩٦١م)، مقدمة جامع التفاسير، تحقيق د. احمد حسن فرحات (الكويت، دار الدعوة، ط١ ١٤٠٥هـ).
* السكاكي أبو يعقوب يوسف بن ابي بكر محمد بن علي، مفتاح العلوم، تحقيق أكرم عثمان يوسف (العراق، مطبعة دار السعادة، بغداد ١٤٠٢هـ).
* سيبويه، أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر ،الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون (عالم الكتب، بيروت ١٩٨٣م).
* السلميّ، يوسف صامل، توظيف ابن قتيبة اللغة للدفاع عن القرآن.
* السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة، دار الفكر، ط٢- ١٣٩٩هـ)، الإتقان في علوم القرآن (بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرون (القاهرة، دار إحياء العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه).

* الشاذلي، محمد، النظائر في القرآن بين مقاتل والترمذي (مقال بمجلة اللسان العربي عدد ١٥، ج١ /١١٦).
* شاهين، توفيق محمد، المشترك اللغوي نظرية وتطبيقا (القاهرة، مكتبة وهبة، ط١، ١٤٠٠هـ).
* الشريف الرضي، علي بن محمد، التعريفات (لبنان، بيروت، مكتبة لبنان ١٩٧٨م).
* شودري، محمد أكرم، الترادف اللغوي في القرآن الكريم (مكة المكرمة، المكتبة الفيصلية ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م).
* صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة (بيروت، دار العلم للملايين ط٧، ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م).
* الطلحي، ردة الله بن ردة، دلالة السياق، (مكة المكرمة، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية ١٤٢٤هـ).
* عبد التواب، رمضان، فصول في فقه العربية (القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٦ - ١٤٢٠هـ).
* العسكري، أبو هلال الفروق اللغوية (القاهرة، مكتبة القدسي١٣٥٣هـ).
* غازي مختار، نظرات في علم دلالة الألفاظ عند ابن فارس، (بحث بحوليات كلية الآداب بجامعة الكويت، الحولية الحادية عشرة ١٤١٠هـ).
* فندريس، اللغة، تعريب عبدا لحميد الدواخلي ومحمد القصاص (القاهرة مكتبة الانجلو المصرية).
* لعيبى، حاكم مالك، الترادف في اللغة (منشورات وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨٠م، الجمهورية العراقية).
* لاينز، جون، علم الدلالة،، ترجمة مجيد عبد الحميد الماشطة وآخرين (كلية الآداب، جامعة البصرة ١٩٨٠م).

* المبارك، مازن، نحو وعي لغوي، (بيروت، مؤسسة الرسالة ط٢، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م).
* مجاهد، عبد الكريم، الدلالة اللغوية عند العرب (الأردن، عمان، دار الضياء للنشر والتوزيع، مطبعة النور النموذجية).
* مختار، أحمد، علم الدلالة (الكويت، مكتبة دار العروبة ط١، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م)، من قضايا اللغة والنحو (القاهرة، عالم الكتب ط١ ١٩٧٤م).
* مطر، عبد العزيز، لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة (القاهرة، دار المعارف ط٢، ١٤٠١هـ).
* المطعني: عبد العظيم إبراهيم، المجاز في اللغة وفي القرآن الكريم بين مجوزيه ومانعيه (القاهرة، مطبعة حسان ط١).
* مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها (المجمع العلمي العراقي ١٤٠٦هـ).
* مندور، مصطفى، اللغة بين العقل والمغامرة (الإسكندرية، منشأة المعارف).
* منقور، عبد الجليل، علم الدلالة: أصوله ومباحثه في التراث العربي، (دمشق، اتحاد الكتّاب العرب ٢٠٠١).
* نايف معروف، خصائص العربية وطرائق تدريسها (بيروت، دار النفائس ط١، ١٤٠٥هـ).
* النديم، محمد بن إسحاق، الفهرست، (بيروت، دار المعرفة).
* الهنائي، أبو الحسن علي بن الحسن، المعروف بكراع النمل، المنجد، تحقيق محمد العمري (المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى مكة المكرمة، مركز إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٩م).
* هنفر، أوغست، ثلاثة كتب في الأضداد للأصمعي وللسجستاني ولابن السكيت، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان).